مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء العاشر تشرين الاول سنة ١٩٤١ شوال سنة ١٣٦٠

ابن حزم في (سير النبلاء)

٢

[مؤلفاته]

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام و كان احد المجتهدين : « مارأيت في كتب الإسلام من العلم مثل المحلى لابن حزم و كتاب المغني للشيخ موفق الدين .»

قلت : لقد صدق الشيخ عز الدين ، وثالثهما السنن الكبير للبيهقي ورابعهم [كذا] التمهيد لابن عبد البر . فمن حصل هذه الدواوين و كان من أذكياء المفتين ، وادمن المطالعة فيهم [كذا] ، فهو العالم حقاً .

ولابن حزم مصنفات جليلة إكبرها :

كتاب الإيصال الى فهم كتاب الخصال (خمسة عشر الف ورقة)— و كتاب الإيصال الحافظ لجمل شرائع الاسلام (مجلدان) — و كتاب المحلى بالآثار في شرح المجلى بالاختصار (ثماني مجلدات) - و كتاب حجة الوداع (مئة وعشرون ورقة)— و كتاب قسمة الخمس في الرد على إسماعيل القاضي (مجلد) — و كتاب الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عنها (يكون عشرة آلاف ورقة لكن لم يتمه) — و كتاب الجامع في صحيح الحديث بلا أسانيد — و كتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية — و كتاب ما انفرد به مالك او ابو حنيفة او الشافعي — ومختصر الموضح لأبي الحسن المغلس[1] الظاهري (مجلد) — و كتاب اختلاف الفقهاء الخمسة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وداوود — و كتاب التصفح في الفقه (مجلد) — و كتاب التبيين في هدم[2] علم المصطفى أعيان المنافقين (ثلاثة كراريس) — و كتاب الإملاء في شرح الموطأ (الف ورقة) — و كتاب الإملاء في قواعد الفقه (الف ورقة أيضاً) — و كتاب الإجماع (مجليد) — و كتاب الفرايض مجلد — و كتاب الرسالة البلقا في الرد على محمد[3] عبد الحق بن محمد الصقلي (مجليد) — و كتاب الإحكام لأصول الأحكام (مجلدان) — و كتاب الفصل في الملل والنحل (مجلدان كبيران) — و كتاب الرد على من اعترض على (الفصل) له — و كتاب اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين (مجلد كبير) — و كتاب

(١) هو أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الداوودي الظاهري البغدادي الفقيه أحد علماء الظاهر وإليه انتهت رياسة الداوودين في وقته . ولم ير مثله فيما بعد وكان فاضلاً عالماً نبيلاً صادقاً ثقة مقدماً عند جميع الناس . ومنزله ببغداد على نهر مهدى يقصده العالم من جميع البلدان . توفي سنة ٣٢٤ وله كتاب الموضح (جوابات) الذي اختصره ابن حزم — الفهرست ص ٣٠٦ (سنة ١٣٤٨ هـ) وشذرات الذهب

(٢) كذا في الأصل ولعلها زائدة أو محرفة عن (هل)

(٣) كذا ولم نهتد إلى معرفته فيما بين أيدينا من المظان ، وقد أدرنا الاسم على كل الوجوه التي تقدر أنه مصحف عنها : فتشنا عن محمد بن عبد الحق ، وأبي محمد بن عبد الحق ، وأبي محمد عبد الحق فلم نجد من يمكن أن يكون مقصوداً ولو بإهمال اسم الأب غير أبي محمد عبد الحق بن هرون الفقيه الصقلي احد المشايخ الكبار ، رحل إلى المشرق وأخذ عنه كثيرون منهم سليمان بن يحيى بن عثمان بن أبي الدنيا أحد العدول بقرطبة ، وخلف بن إبراهيم المقري المعروف بابن الحصار الخطيب بالمسجد الجامع بقرطبة فقد رحل إلى صقلية وجالس فيها عبد الحق هذا — انظر (المكتبة الصقلية المطبوعة سنة ١٨٨٧ ليبزيغ) : الذيول ص ٤٦ ، ٤٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرد على ابن زكريا الرازي (مئة ورقة) — وكتاب الترشيد في الرد على كتاب الفريد لابن الراوندي في اعتراضه على النبوات (مجلد) — وكتاب الرد على من كفر المتأولين من المسلمين (مجلد) — وكتاب مختصر في علل الحديث (مجلد) — وكتاب التقريب لحد المنطق بالألفاظ العامية (مجلد) — وكتاب الاستجلاب (مجلد) — وكتاب نسب البربر (مجلد) — وكتاب نقط العروس (مجيليد) ... وغير ذلك .

ومما له في جزء أو كراس :

مراقبة أحوال الإمام[1] من ترك الصلاة عمداً — ورسالة المعارضة — [1] قصر الصلاة — ورسالة التأكيد — [1] ماوقع بين الظاهرية وأصحاب القياس — وفضائل الأندلس — والعتاب على أبي مروان الخولاني — ورسالة في معنى الفقه والزهد — ومراتب العلماء وتواليفهم — والتلخيص في أعمال العباد — والإظهار لما شنع به على الظاهرية وزجر الغاوي (جزءان) — والنبذ الكافية — والنكت الموجزة في نفي الرأي والقياس والتعليل والتقليد (مجلد صغير) — والرسالة اللازمة لأولي الأمر — ومختصر الملل والنحل (مجلد) — والدرة فيما يلزم المسلم (جزءان) — ومسألة في الروح — والرد على إسماعيل اليهودي الذي ألف في تناقض آيات النصائح المنجية — والرسالة الصمادحية في الوعد والوعيد — ومسألة الإيمان — ومراتب العلوم — وبيان غلط عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل — وترتيب سؤالات عثمان الدارمي لابن معين — وعدد

(١) لعل إسقاط الواو هنا من سهو الناسخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مالكل صاحب في مسند بقي — [1] تسمية شيوخ مالك — [1] السير والأخلاق (جزءان) — وبيان الفصاحة والبلاغة [2] رسالة في ذلك لابن حفصون — ومسألة هل السواد لون أو لا - والحد والرسم - وتسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر — وشيء في العروض — ومؤلف في الظاء والضاد — والتعقب على الاقليلي في شرحه لديوان المتنبي — وغزوات المنصور بن أبي عامر — وتأليف في الرد على أناجيل النصارى ... وأشياء سوى ذلك .

ولابن حزم رسالة في الطب النبوي ذكر فيها أسماء كتب له في الطب منها :

مقالة السعادة — ومقالة في شفاء الضد بالضد — وشرح فصول بقراط - وكتاب بلغة الحكيم — وكتاب حد الطب — وكتاب اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة — وكتاب في الأدوية المفردة — ومقالة في المحاكمة بين التمر والزبيب — ومقالة النحل .

[شيء من ابتلائه بالناس]

وقد امتحن لتطويل لسانه في العلماء وشرد عن وطنه فنزل بقرية له وجرت [3] له أمور ، وقام عليه جماعة من المالكية وجرت بينه وبين أبي الوليد الباجي مناظرات ومناقرات ، ونفروا منه ملوك الناحية فأقصته الدولة وأحرقت مجلدات من كتبه ، وتحول إلى بادية لبلة في قريته .

قال ابو الخطاب بن دحية : كان ابن حزم قد برص من أكل اللبان

(١) لعل إسقاط الواو هنا من سهو الناسخ أيضاً (٢) لعل هنا نقصاً (٣) في الأصل : وجردت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأصابه زمانة وعاش ثنتين وسبعين سنة غير شهر . قلت : وكذلك كان الشافعي رحمه الله يستعمل اللبان لقوة الحفظ فولد له رمي الدم .

قال ابو العباس بن[1] العريف : « كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين . »

[عود إلى سبب طلبه العلم]

وقال أبو بكر محمد بن[2] طرخان التركي : قال لي الإمام ابو محمد عبد الله ابن محمد يعني والد أبي بكر بن العربي : « أخبرني أبو محمد بن حزم : أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة فدخل المسجد فجلس ولم يركع ، فقال له رجل : قم فصلّ تحية المسجد — وكان قد بلغ ستاً وعشرين سنة — . قال : فقمت فركعت فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة دخلت المسجد فبادرت بالركوع فقيل لي : اجلس ليس ذا وقت صلاة ، وكان بعد العصر . قال : فانصرفت وقد خزيت وقلت للأستاذ الذي رباني : دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون ، قال ، فقصدته وأعلمته بما جرى فدلني على موطأ مالك ، فبدأت به عليه ، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحواً من ثلاثة أعوام وبدأت بالمناظرة . »

[سماع ابن العربي عليه]

قال أبو بكر : ثم قال لي ابن العربي : « صحبت ابن حزم سبعة أعوام وسمعت منه جميع مصنفاته سوى المجلد الأخير من كتاب الفصل وهو من ستة مجلدات. وقرأنا عليه من كتاب الإيصال أربع مجلدات في سنة ست

(١) كلمة ابن ساقطة من الأصل والتصحيح عن تذكرة الحفاظ للذهبي

(٢) في الأصل : محمد طرخان ، والتصويب عن إرشاد الأريب (٥ : ٨٨) طبع (أوروبا)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخمسين وأربعمائة ، وهو أربعة وعشرون مجلداً ، ولي منه إجازة غير مرة »

[علمه وبلواه بالناس]

قال أبو مروان بن حيان : « كان ابن حزم رحمه الله حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة ، وله كتب كثيرة لم يخل فيها من غلط لجرأته في التسور على الفنون لاسيما المنطق ، فإنهم زعموا انه زل هنالك ، وضل في سلوك المسالك ، وخالف ارسطاطاليس واضع الفن مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض ، ومال أولاً إلى النظر على رأي الشافعي وناضل عن مذهبه حتى وسم به ، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ ، ثم عاد إلى قول[1] أصحاب الظاهر فنقحه وجادل عنه وثبت عليه إلى أن مات . وكان يحمل عليه ويجادل عنه من خالفه ، على استرسال في طباعه وبذل بأسراره ، واستناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء : « لَيبيننَّهُ لِلناسِ ولا يَكتمونَه[2] » فلم يك يلطف صدعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج ، بل يصك به من عارضه صك الجندل ، وينشقه إنشاق الخردل ، فتنفر عنه القلوب ، وتوقع به الندوب حتى استهدف لفقهاء وقته فتمالؤوا[3] عليه وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو منه ؛ فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ويسيرونه عن

(١) في الأصل : حول ، والصواب ما أثبتناه مراعين السياق وما في المصادر

(٢) أثبتها ياء الغيبة في الفعلين كما هي في الأصل لأنها قراءة أبي عمرو بن العلاء وابن كثير وشعبة ، وإن كانت قراءتنا اليوم للآية بتاء الخطاب كما قرأها حمزة والكسائي ونافع والبقية ، انظر ص ١١٧ (على الهامش) وص ٢١٧ من شرح ابن القاصح على الشاطبية (طبع سنة ١٢٩٣ هـ)

(٣) في الأصل : فنالوا ولا معنى لها والتصحيح عن تذكرة الحفاظ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بلادهم إلى أن انتهوا به منقطع أثره : بلدة من بادية لبلة ، وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع ، يبث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده من عامة المقتبسين من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة : يحدثهم ويفقههم ويدارسهم ؛ كل من [1] مصنفاته وقر بعير لم يعدُ أكثرها [عتبة] [2] بادينه زهد الفقهاء فيها حتى لأحرق بعضها بإشبيلية ومزقت علانية ، وأكثر معايبه — زعموا — عند المنصف [3] جهله بسياسة العلم التي هي أعوص [من إتقانه [4]] وتخلفه عن ذلك على قوة سبحه في غماره . وعلى ذلك فلم يكن بالسليم [5] من اضطراب رأيه ومغيب شاهد علمه عنه عند لقائه ، إلى أن يحرك بالسؤال فينفجر منه بحر علم لا تكدره الدلاء . وكان مما يزيد في شينه تشيعه لأمراء بني أمية ماضيهم وباقيهم واعتقاده لصحة إمامتهم ، حتى لنسب إلى النصب .»

[عود إلى مؤلفاته]

قلت : ومن تواليفه كتاب تبديل اليهود والنصاري للتوراة والإنجيل . وقد أخذ المنطق — أبعده الله من علم — عن محمد بن الحسن المذحجي وأمعن فيه فزلزله في أشياء .

[رأي الذهبي فيه]

ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح ومعرفته به وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل والمسائل البشعة في

(١) في الأصل : من كل وهي تحريف وإن كان لها وجه متكلف إلا أن كلة ابن حيان هذه هي على ما أثبته كما في المصادر وكما في تذكرة الحفاظ للمؤلف نفسه (٢) الزيادة عن تذكرة الحفاظ.
(٣) في الأصل وفي تذكرة الحفاظ : المصنف والتصحيح عن إرشاد الأريب
(٤) محل هاتين الكلمتين بياض في الأصل الأم ، أكملنا النقص من إرشاد الأريب
(٥) في الأصل : بالتسليم والتصحيح عن إرشاد الأريب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأصول والفروع . وأقطع بخطئه في غير ما مسألة ؛ ولكن لا أكفره ولا أضلله وأرجو له العفو والمسامحة والمسلمين ، وأخضع لفرط ذكائه وسعة علومه . ورأيته قد ذكر قول من يقول : أجل المصنفات الموطأ فقال :

« بل أولى الكتب بالتعظيم صحيحا البخاري ومسلم وصحيح ابن السكن ومنتقى ابن الجارود والمنتقى لقاسم بن أصبغ ومصنف أبي جعفر الطحاوي .

(قلت : ماذكر سنن ابن ماجه ولا جامع أبي عيسى فإنه ما رآهما ولا أدخلا إلى الأندلس إلا بعد موته .) ثم قال : ومسند البزار ومسند ابن أبي شيبة ومسند احمد بن حنبل ومسند إسحق ومسند الطيالسي ومسند الحسن بن سفيان ومسند ابن سنجر[1] ومسند عبد الله بن محمد المسندي ومسند يعقوب ابن شيبة ومسند علي بن المديني ومسند ابن أبي غرزة وما جرى مجرى هذه الكتب التي أفردت لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صرفاً .

ثم الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره مثل مصنف عبد الرزاق ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف بقي بن مخلد ، وكتاب محمد بن نصر المروزي وكتاب ابن المنذر الأكبر والأصغر ، ثم مصنف حماد بن سلمة وموطأ مالك بن أنس وموطأ ابن أبي ذيب وموطأ ابن وهب ومصنف وكيع ومصنف محمد بن يوسف الفريابي ومصنف سعيد بن منصور ومسائل أحمد بن حنبل ، وفقه أبي عبيد وفقه أبي ثور .»

قلت : ما أنصف ابن حزم ، بل رتبة الموطأ أن يذكر تلو الصحيحين مع سنن أبي داوود والنسائي ، لكنه تأدب وقدم المسندات النبوية الصرف ؛ وإن للموطأ لموقعاً في النفوس ومهابة في القلوب لا يوازيها شيء .

(١) في الأصل : ابن شجر وهو تصحيف والتصحيح عن الرسالة المستطرفة للكتاني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

[مرويات الذهبي بالسند إلى ابن حزم]

كتب إلينا المعمر العالم أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون من مدينة تونس[١] عام سبعمائة عن أبي القاسم أحمد بن يزيد القاضي عن شريح بن محمد الرعيني : أنبأنا ان أبا محمد بن حزم كتب إليه قال :

أنبأنا يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود أن[٢] قاسم بن أصبغ أخبرنا إبراهيم ابن عبد الله : أخبرنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصوم جُنة » أخرجه مسلم عن أبي سعيد الأشج عن وكيع . وبه[٣] قال ابن حزم : أخبرنا أحمد بن محمد الجسور ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي دليم[٤] : أخبرنا محمد بن وضاح : أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة : أخبرنا يزيد بن هرون : أخبرنا حميد عن بكر بن عبد الله المزني عن ابن عمر[٥] قال : « إنما أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وأهللنا به معه ، فلما قدم قال : (من لم يكن معه هدي فليحلل) فأحل الناس إلا من كان معه هدي ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هدي ولم يحل . »

وبه قال ابن حزم : حدثني أحمد بن عمر العذري : أخبرنا عبد الله بن الحسين بن عقاب : أخبرنا عبيد الله بن محمد السقطي : اخبرنا أحمد بن جعفر ابن سلم : أخبرنا عمر بن محمد الجوهري : أخبرنا أحمد بن محمد الأثرم :

(١) في تذكرة الحفاظ ٣ : ٣٢٩ أبو محمد بن هارون بن يونس ، وهو تصحيف .
(٢) في تذكرة الحفاظ : أنبأنا قاسم ..
(٣) أي بالسند المتقدم وهو اصطلاح لعلماء الحديث . وسيمر بك مرتين أخريين
(٤) في الأصل : بن وليم ، والتصويب عن الصلة لابن بشكوال ج ١ ص ٢٤
(٥) في الأصل أبي عمر وهو خطأ لأن المزني — كما في تهذيب التهذيب — روى عن ابن عمر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أخبرنا أحمد بن حنبل : أخبرنا هشيم : أنبأنا حميد : أخبرنا بكر بن عبد الله : سمعت أنس بن مالك قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعًا . قال بكر : فحدثت بذلك ابن عمر فقال : « لبى بالحج وحده . »

وقع لنا هذا في مسند أحمد ، فأنا وابن حزم فيه سواء .

[من شعره]

وبه قال ابن حزم فيما أحرق له المعتضد بن عباد من الكتب يقول :

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رق[1] وكاغد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بداءة ... فكم دون ما تبغون لله من ستر
* كذاك النصارى يحرقون - إذا علت ... أكفهم - القرآن في مدن الثغر

ولابن حزم :

* أشهد الله والملائك أني ... لا أرى الرأي والمقايس دينا
* حاش لله أن أقول سوى ما ... جاء في النص والهدى مستبينا
* كيف يخفى على البصائر هذا ... وهو كالشمس شهرة ويقينا

فقلت مجيبًا له :

* لو سلمتم من العموم الذي نع ... لم قطعًا تخصيصه ويقينا
* وترطبتم فكنتم يبتسم[1] ... لرأينا لكم شفوفًا مبينا

(١) في الأصل : ورق ، والتصحيح عن إرشاد الأريب وغيره

(*) الأبيات المصحوبة بهذه العلامة تفردت بها هذه الرسالة ولم أجدها في مصدر آخر مما كنت اطلعت عليه حين دراستي لابن حزم ، وهي مزية جديرة بالتنبيه عليها مع بقية المصادر تمد أمهات في هذا الموضوع (٢) كذا في الأصل ، ولم نهتد إلى الصواب فيه ولا وجدنا البيتين في مصدر من المصادر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولابن حزم :

مناي من الدنيا علوم أبثها وأنشرها في كل باد وحاضر
دعاء إلى القرآن والسنن التي تناسى رجال ذكرها في المحاضر
* وألزم أطراف الثغور مجاهداً إذا هيعة ثارت فأول نافر
* لألقى حمامي مقبلاً غير مدبر بسمر العوالي والرقاق البواتر
* كفاحاً مع الكفار في حومة الوغى فأكرم موت للفتى قتل كافر
* فيا رب لا تعجل حمامي بغيرها ولا تجعلني من قطين المقابر[1]

ومن شعره رحمه الله :

هل الدهر إلاّ ماعرفنا وأدركنا فجائعه تبقى ولذاته تفنى
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا
إلى تبعات في المعاد وموقف نودّ لديه أننا لم نكن كنا
حنين لما ولى وشغل لما أتى وهمٌّ بما نخشى فعيشك لا يهنا
حصلنا على إثم وحسرة وفات الذي كنا نلذ به عنا
كأن الذي كنا نسر بكونه إذا حققته النفس لفظ بلا معنى

وله على سبيل الدعابة وهو يماشي أباعمر بن عبد البر وقد رأى شاباً مليحاً فأعجب ابن حزم فقال أبو عمر : « لعل ما تحت الثياب ليس هناك » فقال :

وذي عذل فيمن سباني حسنه[2] يطيل ملامي في الهوى ويقول :
أمن حسن وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسم، انت قتيل؟

(١) في الأصل : النابر ولامعنى لها ولعل (تعجل) في أول البيت أصلها (تجعل) (٢) في الأصل : فيما سباني حبه ، ولم نرتضها لضعفها ولترجح تصحيفها لدينا فأثبتنا الرواية المجمع عليها في المصادر كافة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقلت له أسرفت في اللوم فاتئد فعندي رد لو أشاء طويل
ألم تر أني ظاهريّ وأنني على ما بدا حتى يقوم دليل

وأنشد أبو الفهم بن أحمد السلمي : أنشدنا ابن قدامة : أنشدنا ابن البطي : أنشدنا ابو عبد الله الحميدي : أنشدنا ابو محمد علي بن أحمد لنفسه :

لايشمتن حاسدي إن نكبة عرضت فالدهر ليس على حال بمتركك
ذو الفضل كالتبر طوراً تحت مبقعة وتارة في ذرى تاج على ملك

وشعره فحل كما ترى ، وكان ينظم على البديهة[1] ومن شعره :

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع لجد على ماضاع من ذكري النهب
ولي نحوأ كناف العراق صبابة ولاغروأن يستوحش الكلف الصب
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم فحينئذ يبدو التأسف والكرب
هنالك يدرى أن للبعد قصة وأن كساد العلم آفته القرب

وله :

* أنائم انت عن كتب الحديث وما أتى عن المصطفى فيها من الدين
* كمسلم والبخاريّ اللذين هما شدا عرى الدين من نقل وتبيين
* أولى بأجر وتعظيم ومحمدة من كل قول أتى من رأي سحنون[2]
* يا من هدى بهما اجعلني كمثلهما في نصر دينك محضاً غير مفتون

(١) في الأصل : البديه ، ولم أرها في كتب اللغة . (٢) سحنون — على ما في قاموس الأعلام — هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون ، قاض ، فقيه ، انتهت إليه الرياسة في العلم بالمغرب . كان زاهداً لايهاب سلطاناً في حق يقوله . أصله شامي من حمص ، ومولده في القيروان وولي القضاء سنة ٢٣٤هـ فاستقر إلى إن مات . كان رفيع القدر حنيفاً أبي النفس مات سنة ٢٤٠هـ وله ثمانون سنة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

[من كلامه]

قال ابن حزم في تراجم أبواب صحيح البخاري : «منها ماهو مقصور على آية إذ لا يصح في الباب غيرها ، ومنها ما بينه بتبويبه على أن في الباب حديثاً يجب الوقوف عليه ، لكنه ليس من شرط ما ألف عليه كتابه ، ومنها ما يبوب عليه ويذكر نبذة من حديث قد سطره في موضع آخر ، ومنها أبواب تقع بلفظ حديث ليس من شرطه ويذكر في الباب ماهو في معناه .»

وقال في أول الإحكام[1]: «أما بعد فإن الله ركب في النفس الإنسانية قوى مختلفة ، فمنها عدل يزين لها الانصاف ويحبب إليها موافقة الحق ، قال تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ [وَٱلْإِحْسَانِ] » وقال : « [يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمنوا] كونوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ [وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ » ومنها غضب وشهوة يزينان لها الجور ويعميانها عن طريق الرشد] وقال [تعالى] : « وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ [فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ] وقال [تعالى] : « كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » فالفاضل يسر[2] لمعرفته [بمقدار مامنحه الله تعالى] والجاهل يسر لما[3] لا يدري حقيقة وجهه ولما[3] فيه وباله ، [في أخراه وهلاكه في معاده] ومنها فهم يليح لها[4] الحق من قريب وينير [لها في] ظلمات المشكلات فيرى به[5] الصواب ظاهراً جلياً ، ومنها جهل يطمس[6] عليها الطرق[7] ويساوي عندها [بين] السبل فتبقى

(١) النقل الآتي كثير التحريف وقد أصلحناه وأكملنا نقصه من مقدمة الإحكام ص ٤ ـ ٥ [مطبعة السعادة سنة ١٣٤٥] وما بين معقوفتين هو ما نقص في نسختنا . (٢) في الأصل : يسير به . (٣) في الأصل : وبما . (٤) في الأصل : له . (٥) في الأصل : بها (٦) في الأصل : يطمش ولا معنى لها . (٧) في الأصل : الطريق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

النفس في[1] حيرة تتردد وفي ريب تتلدد ويهجم بها على احد الطرق المجانبة للحق [المنكبة عن الصواب] تهوراً وإقداماً [او جبناً او إحجاماً او إلفا وسوء اختيار]، قال تعالى: «هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ» [وقال تعالى: إنما يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ] ومنها قوة التمييز التي سماها الأوائل المنطق، فجعل لها خالقها بهذه القوة سبيلاً إلى فهم خطابه [عز وجل] وإلى معرفة الأشياء على ماهي عليه، وإلى إمكان التفهم [الذي به ترتقي درجة الفهم ويتخلص من ظلمة الجهل] فبها تكون معرفة الحق من الباطل، [قال تعالى: «فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو ٱلأَلْبَابِ»] ومنها قوة العقل التي تعين النفس المميزة على نصرة العدل [وعلى إيثار ما دلت عليه صحة الفهم وعلى اعتقاد ذلك علماً وعلى إظهار باللسان وحركات الجسم فعلا؛ وبهذه القوة التي هي العقل تتأيد النفس الموفقة لطاعته على كراهية الحيود عن الحق وعلى رفض ماقاد إليه الجهل والشهوة والغضب المولد للعصبية وحمية الجاهلية] فمن[2] اتبع ما أناره له العقل الصحيح نجا وفاز، ومن عاج عنه هلك [وربما أهلك]. قال تعالى: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» فأراد بذلك العقل. أما المضغة المسماة قلباً[3] فهي لكل أحد، [متذكر وغير متذكر ولكن لما لم ينتفع] غير العامل [بقلبه صار] كمن لا قلب له.»

وكلام ابن حزم كثير ولو أخذت في إيراد طرفه وماشذ به لطال الأمر.

(١) في الأصل: في النفس حيرة. (٢) في الأصل: فمن. (٣) في الأصل: أما مضغة القلب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

[عود إلى مولده]

قال ابو القاسم بن بشكوال الحافظ في الصلة له : قال القاضي صاعد ابن أحمد : « كتب إليّ ابن حزم بخطه يقول : ولدت بقرطبة في الجانب الشرقي في ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة بطالع العقرب ، وهو اليوم السابع من نوير . »

[وفاته]

قال صاعد : « ونقلت من خط ابنه أبي رافع : أن أباه توفي عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين واربعمائة فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهراً رحمه الله تعالى »

[عود إلى شعره]

ومن نظم أبي محمد بن حزم :

* لم أشك صداً ولم أذعن بهجران ولا شعرت مدي دهري بسلوان
* أسماء لم أدر معناها ولا خطرت يوماً عليّ ولا جالت بميداني
* لكنما دائي الأدوى[1] الذي عصفت عليّ أرواحه قدماً فأعياني
* تفرق لم تزل تسري طوارقه إلى مجامع أحبابي وخلاني
* كأنما البين بي يأتم حيث رأى لي مذهباً فهو يتلوني ويغشاني
* وكنت أحسب عندي للنوى جلداً إذا عتا[2] في فؤادي شجوها العاني
* فقابلتني بألوان غدوت بها مقابلا من صباباتي بألوان

(١) في الأصل : داي الأدواء التي

(٢) في الأصل : عنى . وليست هذه الأبيات في مصدر آخر فنقابلها به فأثبتنا ما رجحناه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

[من مات في سنة وفاته]

وممن مات مع ابن حزم في السنة : الحافظ أبو الوليد الحسن بن محمد الدربندي[1] ، والفقيه ابو القاسم سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج قاضي الجماعة بقرطبة ، والحافظ عبد العزيز محمد بن محمد بن عاصم النخشبي[2] ، وشيخ العربية أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان ببغداد ، ومسند الوقت أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن [أحمد بن[3]] حسنون النرسي ، والمحدث أبو سعيد محمد بن علي بن محمد الخشاب النيسابوري ، والوزير عميد الملك محمد بن منصور الكندري .

[عود إلى شعره]

ولابن حزم

قالوا تحفظ فإن الناس قد كثرت ... أقوالهم وأقاويل الورى[4] محن

فقلت هل عيبهم لي غير أني لا ... أقول بالرأي إذ في رأيهم فتن[4]

وأنني مولع بالنص لست إلى ... سواه أنحو ولا في نصره أهن

لا أنثني لمقاييس[4] أقول بها ... في الدين بل حسبي القرآن والسنن

يابرد ذا[5] القول في قلبي وفي كبدي ... ويا سروري به لو أنهم فطنوا

دعهم يعضوا على صم الحصى كمداً ... من مات من قوله عندي له كفن

« تمت الرسالة »

(١) في الأصل : ابن الوليد الحسن بن محمد الدزندي والتصويب عن تذكرة الحفاظ ٣ : ٣٢٩

(٢) في الأصل اليخشي والتصويب عن شذرات الذهب (٣) الزيادة عن تذكرة الحفاظ ٣ : ٣٢٩

(٤) انظر هذه القصيدة كاملة في كتابي (ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة) ص ١٤١ . وفيها هناك بدل الورى : العدى ، وبدل فتن : أفن (ص ٦٢) ، وبدل لمقاييس أقول : نحو آراء يقال .

(٥) في الأصل : ذي . والتصحيح عن المصدر السابق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

صيغ سماع هذه الرسالة على الذهبي

نص السماعين اللذين ختمت بهما هذه الرسالة

١ — قال الذهبي : سمع من لفظي هذه الترجمة المولى العلامة قاضي القضاة حسام الدين حسن بن رمضان القرمي ، وفتاه سيف الدين بهادر ، والشيخ عماد الدين ابو بكر ابن أحمد بن أبي الفتح بن السراج ، والشيخ أمين الدين محمد بن علي بن حسن الألفي[1] المالكي : في شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة . وكتب مؤلفها محمد بن عثمان بن الذهبي عفا الله عنه ه »

٢ — مكتوب على هامش الأم ما لفظه :

سمع ترجمة ابن حزم رحمه الله علي الشيخ شمس الدين الذهبي صاحب التاريخ : الشيخ الإمام العالم شمس الدين محمد بن عبد الله بن المحب والفقيه الفاضل علاء الدين علي بن عبد المؤمن بن علي المغربي . وكل الأسماع بقراءته في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بدمشق ، ولها[2] ولنا جميع التاريخ . ولله الحمد وصلى الله على سيدنا محمد وآله . وكتب إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة* .

سعيد الافغاني

---

(١) في الأصل : أمير الدين ... الألفي ، والتصويب عن شذرات الذهب ٦ : ٢٩٢ وذيول تذكرة الحفاظ ص ١٦٨ والمحدث المذكور مات سنة ٧٨٦

(٢) نرجح أن (ولها ولنا) مصحفة عن (وأجاز لنا) . والمقصود بقوله (جميع التاريخ) : تاريخ الإسلام الكبير للذهبي ومنه أجزاء في المكتبة الأحمدية بحلب

(*) عثرنا بعد طبع الرسالة على اسم كتابين للذهبي فآثرنا التنبيه عليهما هنا تذييلاً للفصل الخاص بمؤلفاته: في المكتبة الصقلية (Alla Biblioteca Arabo - Sicula) (ليبزيغ ١٨٨٧ م) ص ٣٤ م : أن للذهبي مختصر كتاب (إنباه الرواة على أنباء النحاة) تأليف أبي الحسن علي بن يوسف الشيباني .

وفي ص ٤ من مقدمة (كتاب المغني والشرح الكبير — مطبعة المنار سنة ١٣٦١ ه) : ان الذهبي أفرد بالتأليف سيرة الشيخ موفق الدين صاحب (المغني) أحد الكتب الأربعة الجليلة التي لاغنى للمجتهد ولا للمفتي عنها — على ماسر بك من رأي الذهبي عند أول الكلام على مؤلفات ابن حزم . وأرجح أن هذه السيرة مما ضمنه أيضاً كتابه الجليل (سير النبلاء) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مميزات بني أُمية

٢

خصائص قواد الأُمويين وعمالهم

وما كان خلفاء بني أمية فقط ممتازين بأُمور تفردوا بها على من سواهم بل كان رجالهم وقوادهم وعمالهم لا يشبهون في هذا المعنى عمال بني العباس . فان عمال العباسيين كانوا يشتغلون لأنفسهم على الغالب ، وعمال الأُمويين يشتغلون لدولتهم ، فقد رأينا الحجاج بن يوسف الثقفي مثلاً يعمل كل ما يجب ان يعمل لدولته ورأينا احمد بن طولون في الدور العباسي الثاني يعمل لنفسه اولاً ثم لدولته ، وكان عمله لنفسه عظيماً جداً لم يؤثر بعضه عن عامل من عمال بني أُمية . وعلى ماظهر من تعصب الأُمويين ، وكانوا لا يولون الولايات الا للعرب ، ولا يأمنون على سياستهم الا العرب ، كنت تراهم في المسائل الأُخرى أعجوبة في تساهلهم . أخذ بعضهم عبيد الله بن زياد لاعتماده على الفرس في مسائل الأموال فقال مدافعاً عن نفسه : كنت اذا استعملت العربي كسر الخراج ، فان أغرمت عشيرته أو طالبته اوغرت صدورهم ، وان تركته تركت مال الله وانا أعرف مكانه ، فوجدت الدهاقين ابصر بالجباية ، وأوفى بالأمانة ، واهون بالمطالبة منكم ، مع أني قد جعلتكم أُمناء عليهم لئلا يظلموا احداً .

وما كان يخلو قائد من قواد الأُمويين من مزايا غريبة تدهشك في جملة ما تدهش من سيرته ، فقد اشتهر الحجاج مثلاً على عظيم سياسته بأمور لا يخطر بالبال ان مثله يفكر فيها ، اشتهر باصلاح الموازين والخراج والزراعة ، ووضع الحركات والاعجام في المصاحف ، لئلا يلتبس شيء من الآيات على من لا يعلم القرآن واتخذ دار الضرب لسك النقود فكان يضرب المال للسلطان مما يجتمع له من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التبر وخلاصة الزيوف والستوقة والبهرجة ، ثم اذن للتجار وغيرهم في ان تضرب لهم الأوراق ، واستغلها من فضول ما كان يؤخذ من الاجرة للصناع والطباعين وختم ايدي الطباعين . وهو أول من أجرى في البحر السفن المقيّرة المسمرة غير المخرزة والمدهونة وغير ذوات الجآجئ (واحدها جؤجؤ وهو الصدر او عظامه شبهوا به مقدم السفينة) وكان اول من عمل المحامل ولم يرض عن عمله هذا بعض الرّجاز الأكرياء فقال :

أول عبدٍ عمل المحاملا أخزاه ربي عاجلاً وآجلا

وكان من زياد بن ابي سفيان مثل ما كان من الحجاج : بنى في البصرة دوراً واحياء ومساجد وحفر ترعًا وانهاراً وكل ما بنى فيها او صنع فانه نسب الى غيره . قال عمر بن عبد العزيز : قاتل الله زياداً جمع لهم كما تجمع الذَّرَّة ، وحاطهم كما تحوط الأم البرة ، واصلح العراق بأهل العراق ، وترك اهل الشام في شامهم ، وجبى العراق مائة الف الف وثمانية عشر الف الف . وهذا عتبة بن أبي سفيان اخو معاوية واخطب رجل في بني أمية كان يطفئ الفتن ببلاغته اكثر مما يطفئها بجيش دولته . وهذا موسى بن نصير فاتح الاندلس ما التوى له علم منذ خرج من مصر في جيش ضئيل حتى وصل الى الاندلس ففتحها ، واذا قرأتم ترجمته بأمعان تقولون معي ان الولادة ماولدت اعظم منه ولا أعقل .

ومن المتعذر في ساعة ضيقة كهذه ان نتناول الكلام على رجال القوم ونذكر بعض مالهم من المزايا النادرة ، ونحن لذلك نكتفي بالاشارة الى واحد منهم ، وكل واحد من رجالهم يحتاج الى دراسة خاصة مشبعة ، ونعني به مَسلمة بن عبد الملك . فقد كان على جانب عظيم من العقل والسياسة والعلم والادب . غزا الروم غير مرة واثخن فيهم . وفتح الامهات من مدائنهم ، وتولى الاعمال الجليلة ومنها العراقان وارمينية ، فأبان في كل مكان عن كفاءة منقطعة النظير . وعن حب للخير غريب في بابه ، واوصى بجزء من ماله عظيم لأهل الأدب قائلاً انهم اهل صناعة مجفوة . ولولا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

انه ابن أمة لكان من المتحتم ان يجلس على عرش الخلافة الأموية كسائر اخوته الأجلاء الذين بيضوا وجه التاريخ الأموي والاسلامي باعمالهم الجليلة .

التنظير بين الأمويين والعباسيين

حكم الأمويون في الشرق الف شهر ، وحكموا في الغرب نحو ثلاثة قرون ، وكانوا في الشرق والغرب يتحرون جداً في الأموال لا يأخذ الخليفة مالا يحلُّ . وكان مما جرت به عادة خلفائهم اذا جاءتهم جبايات الأمصار ان يأتيهم مع كل جباية عشرة رجال واحياناً اربعون رجلاً قساماً من وجوه الناس واجنادها فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد مافيها دينار ولا درهم الا أخذ بحقه وانه فضل أعطيات اهل البلد من المقاتلة والذرية ، بعد ان اخذ كل ذي حق حقه ، اي فضل أعطيات الاجناد وفرائض الناس . وكانوا لا ينقلون مالاً من بلد الى بلد حتى تسد ثُغرُه وخصاصة اهله بما يغنيهم ، فما فضل منه نقلوه الى البلد الآخر الذي يليه .

اما جباية العباسيين فكان فيها الطاهر وغير الطاهر ، وانواع ضرائبهم كثيرة ، لذلك كان ينكسر الخراج ويكثر عيث العمال وعبثهم بها . وما عهد عند الأمويين نزول خليفة عن اقليم او عن قطر لعامل من عماله ، يجبيه على هواه لحسابه الخاص ، ويعهد الى من يريد بتوليته عليه ، ويكتفي الخليفة حفظه الله بالخطبة له والدعاء لدولته . وبوضع اسمه على السكة وكانت هذه الطريقة مبدأ تمزيق دولتهم وفض عرى كلمتهم وفي ايام بني العباس كثرت المصادرات ، وكان يصادر العمال كما تصادر الرعية ، ويصادر كل من عرفت له ثروة بلا رحمة ، ومنهم من كانوا يعذبون انواع التعذيب ليسلبوهم نعمتهم ، ومنهم من هلكوا في العذاب ، ومثل هذا الجور قلما عهد في دولة بني أمية ، ذلك لأن عمالهم طبقة مختارة يكونون من أصحاب الشرف وارباب البيوتات من العرب . وقل أن عهدت السرقة في شريف . وما ذكر التاريخ ان قائداً أموياً او وزيراً أموياً صودر على مال ، كما كان يصادر قواد العباسيين وولاتهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ووزراؤهم ؛ ولا سيما في الدور العباسي الثاني ، والسبب في ذلك انتظام طرق الجباية وقلة انواعها عند الأمويين . وكان هشام بن عبد الملك في تنظيم ميزانية الدولة المثل الأعلى وموازنته خير موازنة عُرفت . ثم الى هذا كانت الأخلاق على العموم في العصر الأموي أرقى مما آلت اليه في العصر العباسي ، كان في عمال الأمويين الصحابة والتابعون وتابعو التابعين ، وكلهم غاية في فهم روح الدين ، والبعد عن الصغائر والسفاسف . ودخل في عمال العباسيين أخلاط الزمر ، ومنهم من لا يعرف ابوه ولا أمه ، اوصلته المصادفات الى المراتب العالية ، ومنهم من اظهر الاسلام وابطن خلافه ، كبعض الاتراك والفرس ظلوا في باطنهم على عبادة الكواكب او عبادة النيران .

سرُّ تفوُّق الأُمويين

الذكاء يورّث وينتقل بالدم ، والعلم لا يورّث لأنه خاص بدارسه ، وابن الذكي على الأغلب ذكيّ ، وابن البليد بليد على الاكثر . كذلك كان الناس في كل زمان يجعلون للرجل المنسوب الى جد كان له شأن عظيم في الحياة مالا يجعلون مثله لرجل عادي كان لأحد اسلافه شيءٌ من المكانة ، والدم الطاهر ينم عن صاحبه ولا يكذب رائده . وكان البشر منذ القديم يقول بالوراثة عرفها من طريق عملي لا من طريق علمي ، وكان للعرب في باب تخير البنات الأصيلات غرام شديد منذ ابعد ازمنة تاريخهم وما زالوا على ذلك الى اليوم ، حتى كادت الأمة العربية تعد في هذا المعنى ارستقراطية مع ان اعمالها كلها تدل على تأصل الديموقراطية في دمها . ولذلك رأينا بعض مؤلفي التراجم يحرصون على وضع نسب المترجم له من جهة أهل ابيه وأمه ، وبهذا ساغ لنا ان نستنتج بأن بني أمية لم يظهر ما ظهر منهم من الصفات الغرّ في الجاهلية والاسلام إلا بدم نقي انتقل من الأجداد الى الأحفاد ، وتسلسل العقل والذكاء في رجالهم ونسائهم ، وانتقلت الشجاعة والنجدة في بنيهم وبناتهم . وفي الحديث : الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاسباب الداعية الى التنويه بالأمويين

لا أريد أن اودعكم الآن قبل ان أفاتحكم بأمر طالما لغط به بعضهم وما اجبتهم عليه ، ذلك ان بعض المنحرفين عن بني أمية يتهمني بالتشيع لهم ، وأني أنوه في كل فرصة بحسناتهم ، واغض الطرف عما يتخيله المتخيلون سيئات ، واني أنحي على من ظلموهم وما رحموهم ؛ وما حبي الأمويين ، علم الله ، الا حب من انعم النظر فيما قيل فيهم ولهم ، ووازن بين اعمالهم واعمال غيرهم ، وايقن بعد الدرس الطويل والتفكير العميق أنهم مغبونون في الحكم عليهم . سوّد خصومهم من العباسيين والعلويين صحيفتهم في الدهر الغابر لأجل السياسة حتى صار بغضهم الى اليوم مذهباً يدين به من يدين . ويبلغني عن العراق في نهضته الحديثة انهم قلما يقرؤون في المدارس تاريخ بني أمية لبغض بعض الطوائف لهم ، وهذا من اغرب ما يسجل في تجاهل المعروف ، وعدم الاقرار بالأمر الواقع .

ان حكمي على الأمويين حكم التاريخ فقط ، ارغب في ان أنصف دولة احسنت ولم يبق في الأرض انسان ينسب اليها حتى اقترب من قلبه بما أدون ، ولو كانت المسألة مسألة حظ نفس كان الأولى بي ان أصانع مبغضيهم وهم ملايين اليوم منتشرون في اقطار العالم ولهم حَوْل وطَوْل . فالمسألة اذاً ليست مسألة حب وبغض بل مسألة حق وباطل وأقبحُ بالتاريخ يكتب بعوامل مذهبية وشهوات نفسية واهواء شخصية .

رثاء شوقي للأمويين

ورحم الله صديقي شوقي يذكر الأمويين في قصيدته الخالدة في دمشق بقوله :

بنو أمية للأنباء ما فتحوا ... وللأحاديث ما سادوا وما دانوا
كانوا ملوكاً سرير الشرق تحتهم ... فهل سألت سرير الغرب ما كانوا
عالين كالشمس في اطراف دولتها ... في كل ناحية ملك وسلطان
يا ويح قلبي مهما انتاب ارسمهم ... سرى به الهمُّ او عادته اشجان
بالأمس قمت على (الزهراء) اندبهم ... واليوم دمعي على (الفيحاء) هتان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الأرض منهم سماوات وألوية ونيرات وأنواء وعقبان
معادن العز قد مال الرّغام بهم لو هان في تربه الابريز ما هانوا
لولا دمشق لما كانت طليطلة ولا زهت بيني العباس بغدان
مررت بالمسجد المحزون اسأله هل في المصلى او المحراب مروان
تغير المسجد المحزون واختلفت على المنابر احرار وعبدان
فلا الأذان أذان في منارته إذا تعالى ولا الآذان آذان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجمع بين الآيات التي يقتضي ظاهرها التناقض

وتفسير المشكلات

وقفت على مجموع خطي تضم دفتاه كتابين : الكتاب الأول نزهة القلوب لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠

الكتاب الثاني وهو المسمى بـ

(الجمع بين الآيات التي يقتضي ظاهرها التناقض وتفسير المشكلات)

اما الكتاب الأول فلا اعرض للتعريف به لشهرته ولنشره بالطبع ، واما الثاني وهو ما احسب انه غير مطبوع وغير متداول ولم أجد له ذكراً في كشف الظنون ولم يذكر في النسخة التي وقفت عليها اسم مؤلفها ولعل ما أجهل من ذلك مما قد علمه غيري (وفوق كل ذي علم عليم) وها أنا ذا أعرض على قراء مجلة المجمع المفيدة الأعلام وصف نسخته المخطوطة والتعريف بالكتاب .

وصف نسخته الخطية

هي ٤٥ صفحة بقطع الربع ورقها عبادي صقيل وخطها من نوع النسخ طول الصفحة ٢٢ س بعرض ١٢ سطور الصفحة ١٩ وكلمات كل سطر من ١١ الى ١٣ تاريخ كتابتها ضحى أربعاء اليوم الثالث من ربيع الآخر سنة ٩٨٥ هـ والناسخ هو مقلد بن قسم الله

التعريف بالكتاب

موضوعه — يفهم من اسمه

مفتتحه — أما بعد حمد الله كما هو أهله ، والصلاة على رسوله سيدنا محمد وآله وصحبه فهذا كتاب أودعته عشرة أنواع من تفسير مشكلات القرآن ومتشابهه يضطر اليها العلماء ، ويحتاج اليها أرباب الكراسي والعظماء ، واختصرته بحسب الطاقة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخصته وأدمجت فيه ما ذكر مقاتل بن سليمان وتكلمت بما دلني عليه البرهان ، واتضح لي بالأدلة العقلية وبان .

ترتيبه — مرتب على مقدمة وفصول عشرة ، أما المقدمة فهي تلخص بذكر حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة وحديث عن علي رضي الله عنه : لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يعرف للقرآن وجوهاً كثيرة

وأما الفصول فالفصل الأول في تفسير كلمات مشتركة تفسر على معنيين أو اكثر وأورد من ذلك ما استغرق خمس صفحات ، والفصل الثاني في تفسير ما يتفق من القرآن وهذا نموذج منه : اعلم ان كل موضع في القرآن وجلت قلوبهم . أو قلوبهم وجلة فمعناه الخوف . وكل ما فيه مردفين . وتترى . ومدرارا . وأبابيل فمعناه التتابع وأورد كل ماجاء من هذا الباب في سبع صفحات

والفصل الثالث في تفسير اشتباه التقديم في الكلام . ونموذج هذا الفصل : قوله تعالى : خلق السموات والأرض في ستة ايام وكان عرشه على الماء . وقال في آية أخرى : في ستة أيام ثم استوى على العرش . هاتان الآيتان توقعان في نفس من لا يفهم — التناقض — وليس كذلك فان تفسيرهما مشتبه في وجوه تقديم الكلام . اما تفسير قوله تعالى : خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش استواء ربانياً لا جسمانياً بل منزهاً عن الاستقرار والجلوس مقدساً عما يخطر بأوهام النفوس استوى على العرش قبل خلق السموات وذلك قوله تعالى : وكان عرشه على الماء يعني قبل خلق الأرض (بيانه) ان يفصل بين قوله (ثم) وبين قوله (استوى) وتقديره استوى على العرش ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام بدليل الآية الأخرى وقد استغرق هذا الفصل خمس صفحات

والفصل الرابع في تفسير وجوه اختلاف المكي والمدني وهو في صفحة ونصف صفحة

والفصل الخامس في تفسير وجوه اشتباه الحالات قوله تعالى : ربنا أمتنا اثنتين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واحييتنا اثنتين وقال في آية أخرى : لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى وهذا يشعر بالتناقض عند من لا يعرف التفسير ولا تناقض فيه من قبل اشتباه تفسيرهما في وجوه الحالات . اما قوله سبحانه : ربنا أمتنا اثنتين الآية معناه كنا نطفاً ميتة لا روح فيها ولا حس لها فخلقتنا من تلك النطفة وجعل فيها أرواحاً فهذه موتة وهذه حياة . وشاهد ذلك قوله تعالى للكفار : و كنتم أمواتاً فأحياكم معناه يقول : كيف تكفرون بمن خلقكم وجعل فيكم الأرواح بعد ان كنتم نطفاً ميتة لا حياة فيكم ، ولا ارواح لكم . ثم قال : (ثم يميتكم) يعني عند انتهاء آجالكم في الدنيا ثم يحييكم يوم القيامة للبعث الى الحساب فهاتان موتتان وحياتان . واما قوله سبحانه : لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى . يعني الموت الذي أماتهم في الدنيا بعد ما خلقهم من النطف فليس بعد ان خلقهم من النطف موت غير هذه الموتة الواحدة وهذا الفصل يدخل في صفحتين ونصف صفحة

والفصل السادس في تفسير اشتباه صلات الكلام في القرآن وهو في ثلاث صفحات

والفصل السابع في تفسير وجوه خواص المواطن وهو في نحو سبع صفحات

والفصل الثامن في تفسير اختلاف وجوه المواضع وهو في بعض صفحة

والفصل التاسع في تفسير اختلاف وجوه الحروف وهذا نموذج منه . قوله سبحانه وتعالى : ومن يهدي الله فما له من مضل . وقال في آية أخرى : وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العما على الهدى . اما الأولى فيعني من يهدي الله الى الايمان من الضلالة فينور قلبه بالتصديق وشرحه بالمعرفة ، فلا يستطيع أحد ان يضله ويرده الى الكفر كما قال تعالى : فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فهذا هدى الايمان بالقلب . وأما قوله تعالى : وأما ثمود فهديناهم فهو هدى البيان لا هدى الإيمان . يعني أما ثمود فهديناهم ، أي بينا لهم سبيل الكفر والايمان على لسان نبيهم صالح صلى الله عليه فاستحبوا العما على الهدى . أي آثروا الضلال الذي كانوا عليه على الإيمان الذي بينه لهم ودعاهم اليه وتفسيرها بين يتضح بقوله سبحانه : وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء . وكذا قوله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سبحانه وتعالى : انا هديناه السبيل اي بينا للانسان سبيل الخير وسبيل الشر . وهذا لفصل يستغرق سبع صفحات ونصف صفحة .

وأما الفصل العاشر وبه تتمة الكتاب ففي النسخة بياض نحو نصف صفحة وهو يحتوي على مافي القرآن المجيد من لغات القبائل العربية لغة عُمان . ولغة حمير . ولغة طيئ . ولغة أزد . ولغة نهد . ولغة هذيل . ولغة بني نصر بن معاوية . ولغة قيس . ولغة ثقيف . وما يتفق ولغات الأعاجم لغة النبط . اللغة السريانية . واللغة العبرانية ولغة السوادات ؟ ولغة الزنج . ولغة الروم . وختم هذا الفصل بقوله : وانما أنزل الله كتابه العزيز على نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر هذه اللغات ليعلموا ان ذلك ليس من الرسول لأنه صلى الله عليه وسلم لم يسافر الى بلاد أرباب هذه اللغات فتعلمها منهم فلما ذكرها عرف أن الله سبحانه هو الذي عرفه اياها وأنزلها اليه على قلبه كما قال سبحانه : نزل به الروح الأمين على قلبك الآية وقال سبحانه : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك

ومن هذا النموذج الذي استخلصناه تعرف قيمة الكتاب الذي لا أظن انها كتبت عليه آية الحجاب وارجو ان لا يكون ومؤلفه مجهولين عند من يعني بموضوعه القيم من أعلام الأمة

النبطية — جبل عامل :

سليمان ظاهر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اولية تدوين المعاجم

وتاريخ كتاب العين المرويّ

عن الخليل بن أحمد

— ٢ —

٢ — كيف أُسس بناء كتاب العين

إن استقصاء أثر الخليل في الكتاب يدعونا إلى دراسة مراحل تأليفه وكيفية وضعه ، وإذا فعلنا فإنا نرى اول عصر العباسيين حافلاً بتأليف الكتب الجامعة للعلوم : من الحديث يجمعه ابن جريج ، الى القراءات يدونها ابو عمرو بن العلاء ، الى الفقه يقيد مادته وأحكامه مالك والشافعي وابو يوسف ومحمد ، إلى التاريخ يبسطه الواقدي وتلاميذه ، إلى الشعر يجمعه السكرى وغيره ، إلى النحو يفصل قواعده الخليل بن أحمد . كل ذلك دون أن نرى لغوياً يحفل بجمع ألفاظ اللغة العربية جمعاء ، وإذا كان اللغويون شرعوا يؤلفون في نوادر اللغة في أبوابها المختلفة وفي معاني اللغة في باب منها خاص[1] ، وإذا كان أبو عمرو بن العلاء ما زال يلتقط عن الأعراب لغاتهم[2] والخليل بن احمد سماعاته عنهم[3] في أسفاط عديدة من الصحف ومن الكتب ، فأين كل هذا من حصر ألفاظ اللغة . زد إلى ذلك أن جمع اللغة على هذه الطريقة لا يستنفد مادتها أبداً ، فهنالك ألفاظ كثيرة لا تخطر ببال ، واللغة واسعة لا مقيد لها في الفكر والذاكرة وشعر الخليل بما حباه الله به من نظر وذكاء ومعرفة بالحاجة إلى تدوين اللغة أولاً وبوجوب البحث عن نهج واف بالحاجة ثانياً ، فأعمل فكره في ذلك وكد

---

(١) انظر الفصل الممتع الذي كتبه الاستاذ أحمد أمين بك في ضحى الاسلام ٢ : ٢٦٤ — ٢٦٥

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٢٨٦ ، مرآة الجنان لليافعي ، حيدر آباد ١٣٣٧ ، ١ : ٣٢٥

(٣) جمع منها عشرين رطلاً كما يقول سيبويه في تهذيب التهذيب ٣ : ١٦٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قريحته وناهيك بقريحته ، فقد كان فريداً في ذلك ، لم يبلغ شأوه أحد فيما روى المؤرخون. وكان أسلوبه في الإبداع أن يرجع إلى اصول الأشياء الأولية وقوانينها العامة يستنتج منها تفاصيلها ، وكان يرى أن لكل علم ضابطاً ، إن شئت فقل حسابياً او لافقل أصولياً .

وبعدُ فهل يصعب على من كان هذا شأنه أن يرى أن ضابط اللغة والألفاظ هي الحروف تؤلفها بامتزاجها بعضها مع بعض ، او هل يعسر على من حصر بحور العرب وعروضها بضروب من المفاعيل عجيبة أن يجد — وهو يضع أبنية الأفعال والأسماء او مصادرها ويقسمها إلى ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية[1] — أن الألفاظ الثنائية المكونة من حرفين سهلة الحصر ، فما اسهل من أخذ كل حرف من حروف العربية وجمعه مع غيره من الحروف بتقديمه تارة وتأخيره أخرى ، فالباء مثلاً تؤلف مع التاء بت تب ومع الثاء بث و ثب ومع غير ذلك من الحروف شبيها بهذا البناء ، فحصر تراكيبها سهل إذن ، وقل ذلك عن تراكيب غيرها من الحروف حتى تبلغ ٢٨ حرفاً ، وإذا بالخليل يجد التراكيب الثنائية ثم يرى بنظره الثاقب ان الحصول على تراكيب الثلاثي يكون بأخذ مختلف ضروب تركيب حرف مع حرفين آخرين ثم مع أحدهما وحرف آخر وثالث الى آخر الحروف مع إعادة ذلك لكل حرف من الحروف دون الالتفات الى تركيبه مع الحرف ، الذي اخذت تراكيبه آنفاً . وتراكيب الرباعي ثم الخماسي أكثر عدداً ، إلا أن أسلوب الحصر السابق يشملها.

يجد الخليل طريقه واضحاً فيسر به إلى تلميذه الليث بن المظفر . ويحدثنا بذلك ابن المظفر فيقول : « كنت اسير إلى الخليل بن أحمد ، فقال لي يوماً : لو أن إنساناً قصد وألف ألف وباء وتاء وثاء على ما امثله لاستوعب في ذلك

(١) وقال الخليل بن أحمد : كلام العرب مبني على أربعة أصناف : على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، فأما الثنائي فما كان على حرفين نحو : قد ، بل ، هل ، ومثلها من الأدوات ، قال والثلاثي نحو قولك : ضرب ، خرج ، مبني على ثلاثة أخرى والرباعي نحو قولك : دحرج ، هملج ، قرطس ، مبني على أربعة أحرف ... قال والخماسي نحو : سفرجل ، وشمرول وكنهبل وقبعثر وما اشبهها قال الليث قال الخليل : ليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال اكثر من خمسة أحرف فهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل او اسم فاعلم انها زائدة على البناء نحو : قرعبلانه إنما هو قرعل ... » التهذيب للأزهري ٣٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جميع كلام العرب ، وتهيأ له اصل لا يخرج عنه شيء منه بتة . قال فقلت له وكيف يكون ذلك ، قال : يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، وانه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه . قال الليث فجعلت أستفهمه ويصف لي ، ولا أقف على ما يصف ، فاختلفت إليه في هذا المعنى اياماً ، ثم اعتللت وحجبت ؛ فما زلت مشفقاً عليه ، وخشيت ان يموت في علته فيبطل ما كان يشرحه لي »[1] ولكن الخليل استمر بالتفكير باختراعه العظيم[2] ، واعمل فكره فيه ، فلم يمكنه ان يبتدئ من اول ا ب ت ث لأن الالف حرف معتل لا يبقى في الكلمة على شكله بل يتغير ويغيرها ، وما أفسد الابتداء بما يصعب ضبطه ولا تستوي طريقه « فلما فاته أول الحروف كره أن يجعل الثاني أولاً — وهو الباء — إلا بحجة[3] » لأن رفع الألف أخل بترتيب الألفباء ، فلم يعد من حاجة لأخذ الباء . ثم لما اغفل ترتيب الألفباء جعل يتدبر اسلوباً لترتيب الحروف تتم منه الفائدة في العمل الذي أنشأه ، فانتقل به الفكر إلى مخارج الحروف مما كان اوعاه في دروسه في النحو ، فوجد انه إن رتب الحروف حسب مخارجها في الفم قربت الحروف المتشابهة من حيث طريقة نطقها بعضها من بعض ، فأصبحت الحاء قرب الهاء قرب الخاء قرب الغين .

ولا بد أنه وجد لذلك فوائد جليلة ، نتخيل منها — مستأنسين بنصوص وردت عفواً في كتاب العين — ان الحروف المتشابهة بالمخارج لا يمتزج بعضها مع بعض في تكوين الألفاظ إلا نادراً[4] ، وهي إن ضرب بعضها ببعض أخرجت تراكيب مهملة لم يستعملها العرب ، وما أحسن ان يجتمع المهمل بعضه قرب بعض في الكتاب فلا يتفرق ، وما أحسن ان يقال في كتاب العين : « العين والحاء لا يأتلفان في كلمة واحدة اصلية الحروف لقرب مخرجيهما[5] » ثم يهمل

(١) الفهرست ٦٣ وارشاد الأريب ٦ : ٢٢٧ (٢) التهذيب للازهري ٣٩ ، لسان العرب ٩ : ٣٦٩ ، تاج العروس ٥ : ٢٦٨ (٣) المصادر السابقة (٤) ذكر ابن منظور في لسان العرب ١ : ٨ سر تقارب الحروف وما يكثر استعماله من الحروف وما يقل وهو بحث استقصاه واحسن فيه فانظره وفي سر صناعته الاعراب لابن جني نسخة الظاهرية عام ١٥ آخر الكتاب « فصل في مذاهب العرب من مزج الحروف بعضها ببعض وما يجوز من ذلك وما يمتنع وما يحسن منه وما يقبح »

(٥) في التهذيب للأزهري ص ٥٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعدهما مباشرة العين مع الهاء ثم العين مع الفاء[١]» . وليس ذلك فحسب بل ان الراء واللام والنون والفاء والباء والميم وهي التي سميت ذُلقًا وشفوية « لما ذلقت وبذل بهن اللسان وسهلت في النطق كثرت في أبنية الكلام ، فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها او من بعضها ، فإن ورد عليك خماسي معرى من الحروف الذلق او الشفوية فاعلم انه مولد وليس من صحيح كلام العرب[٢]» «أما الرباعي المنبسط فان الجمهور الأكثر منه لا يعرى من بعض الحروف الذلق » « ومهما جاء من بناء اسم رباعي منبسط معرى من حروف الذلق والشفوية فإنه لا يعرى من أحد حرفي الطلاقة او كليهما ومن السين والدال او احديهما[٣]» ويبدو من ذلك واضحًا ان ضروب الحروف بعضها ببعض في الرباعي والخماسي مهمل إلا ما دخل فيه الحروف الذلق والشفوية وبذلك فمهمل الرباعي والخماسي يأتي متقاربًا في الكتاب بعد ترتيب الحروف على مخارجها . ولهذا الترتيب فائدة أخرى جليلة ، وهي أن الحروف المتشابهة قد تحل الواحدة منها مكان الأخرى في كلمة واحدة دون ان يتغير معناها ، وذلك مايسمى بالإبدال . وهكذا يفهمنا الخليل أن كل صاد تسبق القاف إن شئت جعلتها سينًا لا تبالي متصلة كانت بالقاف او منفصلة بعد ان تكون كلمة واحدة[٤] .

وجد الخليل هذه الفوائد التي تجعل ترتيب الكتاب عليًا منطقيًا سهلاً قريبًا من الحفظ لاتتداخل فيه الأشياء وتمتزج دون صلة أو تشابه ؛ فرغب في ترتيب الحروف على المخارج ، فأقبل على الحروف ، ووضع مخارجها ، وألفها تأليفًا يتفق مع غاية الكتاب ونهجه وما يتوخاه منه « فنظر إلى الحروف كلها ، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق ، فصير اولاها بالابتداء به ادخلها في الحلق . وكان ذوقه اياها أنه كان إذا أراد أن يذوق الحرف فتح فاه بالألف ثم أظهر الحرف اب ات اج الخ . . . فوجد العين أقصاها في الحلق

(١) في التهذيب للازهري ص ٥٠ (٢) عن الخليل في التهذيب ص ٤١

(٣) التهذيب ٤٢ وعن غير ابن المظفر قال الخليل : « وأما المصمته فإنها تسعة عشر حرفاً صحيحاً . . . وإذا عريت من حروف الذلاقة قلت في البنا فلست وأجدأ في جميع كلام العرب خماسياً بناؤه بالحروف المصمتة خاصة ولا كلاماً رباعياً كذلك غير المسبتة » التهذيب ٤٧

(٤) من كتاب العين ص ١٠٥ عن دروس الاستاذ مارسيه ٢٤ كانون الثاني ١٩٣٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأدخلها فجعل أول الكتاب العين ، ثم ما قرب مخرجه منها بعد العين الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخر الحروف[١] ... وهذا تأليفه : ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي[٢]»

ويجعل بعض اللغويين من هذا الترتيب المخالف لترتيب البصريين سبيلاً للطعن في الكتاب وفي نسبته إلى الخليل شيخ البصريين : فيقول المفضل بن سلمة الكوفي (توفى نحو ٢٥٠) : «ذكر صاحب العين أنه بدأ كتابه بحرف العين لأنها أقصى الحروف مخرجاً ، والذي ذكره سيبويه ان الهمزة أقصى الحروف مخرجاً[٣]» ؛ ونسي ابو طالب المفضل أن الخليل اسقط الهمزة لأنها حرف يعتريه التغيير . ثم يعترض الزبيدي على تقديم العين على الهاء ويرى ان ذلك ينقض نسبة الكتاب الى الخليل ، ولكن الليث ليس الوحيد الذي نقل هذا الترتيب عن الخليل لنشك في نسبته اياه للخليل بل نقله غيره عنه بحذافيره[٤] زد إلى ذلك ان محمد بن احمد بن إبراهيم النحوي البصري (— ٢٩٩) يروي عن الخليل نصاً يعتذر فيه عن عدم الابتداء بالهاء حيث يقول : « انه لم يبدأ بالهاء لأنها مهموسة خفيفة لا صوت لها ... وليس العلم بتقديم شيء على شيء لأنه كله مما يحتاج إلى معرفته ... وأولاها

(١) في التهذيب ٣٩ — ٤٠ ولسان العرب ٩ : ٣٦٩ تاج العروس ٥ : ٢٦٨

(٢) تهذيب ٤٠ وذكر الازهري في محل آخر ص ٤٤ — ٤٥ ولسان العرب ١ : ٧ احياز ومدارج الحروف قالا قال الخليل بن احمد «اقصى الحروف كلها العين وارفع منها الحاء ولولا بحة في الحاء لاشبهت العين لقرب مخرج الحاء من مخرج العين ثم الهاء ولولا هتة في الهاء وقال همة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء فهذه الثلاثة في حيز واحد ، ثم الخاء والغين في حيز واحد ثم القاف والكاف في حيز واحد ثم الجيم والشين والضاد ثلاثة في حيز واحد ثم الصاد والسين والزاي ثلاثة في حيز واحد ثم الفاء والباء والميم ثلاثة في حيز واحد ثم الواو والياء والألف ثلاثة في الهواء ولم يكن لها حيز تنسب إلى غيره» وقد وضع ابو الفرج بن عبد الله بن دلان المعافري الجزيري ترتيب حروف الخليل في أبيات منظومة فانظرها في المزهر ١ : ٤٥ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١ والبلغة ١٦٠ وانظر عن ترتيب الحروف واحيازها بالتفصيل في التهذيب ٤١ و ٤٥ و ٤٧

(٣) في المزهر ١ : ٤٥ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١ ويستطرد المفضل قائلا « ولو قال بدأت بالعين لأنها أكثر الكلام واشد اختلاطاً بالحروف لكان اولى » . وكلامه هذا صحيح الا انه ورد عن الخليل مايشابهه برواية ابن كيسان في المزهر ١ : ٤٦ (٤) كما ذكر ذلك الازهري في التهذيب ص ٤٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالتقديم اكثرها تصرفاً[١] » . ويرى الزبيدي ان ترتيب الخليل يختلف عن مذهب البصريين حتى « بتقديم غير ذلك من الحروف وتأخيرها[٢] » . والحق أن هنالك اختلافاً ما في التقديم والتأخير بين ترتيب الخليل وترتيب سيبويه في كتابه الذي أخذ معظمه عن الخليل[٣] ولكني أرى لهذا الاختلاف دواعي عملية اقتضاها تأليف الكتاب والسهولة المتوخاة منه ، فقد وردت الضاد في ترتيب سيبويه مع الحروف الذولقية ، ولم يدخلها الخليل فيها لأنها قليلة الاستعمال ، وقد قلنا إن الخليل قصد بالذولقية ما يدخل من الحروف المستعملة في الكلمة ليحسنها . وهكذا جعل الضاد مع الصاد ، وفي نطق الحرفين تقارب ؛ وقد وافقه على ذلك الفيلسوف ابن سينا في كتابه « أسباب حدوث الحروف » فجعل الضاد قبل الصاد[٤] واختلاف آخر بين سيبويه والخليل في الياء ، فقد أوردها سيبويه مع الجيم والشين ، وعدها الخليل في آخر الحروف مع المعتلات لغاية عملية خالصة وهي إفراد المعتلات . وهذا هو كل الاختلاف الذي يجدر الانتباه إليه خاصة وتعليله ، اما ان يذكر سيبويه الزاي قبل السين ثم الصاد ، ويذكر الخليل الصاد قبل السين قبل الزاي فليس بالاختلاف الكبير ، فهي أحرف متقاربة متشابهة ، لا فارق كبير يميزها ، على أن ابن سينا وافق الخليل وخالف سيبويه في ذلك . وقل مثل ذلك في عد سيبويه (ل ن ر) والخليل (ر ن ل) ، ويظهر لي أن هذين الاختلافين الذين لا كبير شأن لهما[٥] حدثا بعد أن تغير مكان الضاد في ترتيب الخليل . وكذلك فإن كان اختلاف بين سيبويه والخليل فليس ذلك « خطلاً واضطراباً » في كتاب العين كما يقول ابن جني[٦] ، وإنما هو نتيجة عملية من توخي السهولة والاحكام في التآليف .

(١) في المزهر ١ : ٦٦ (٢) المزهر ١ : ٦٣ وكشف الظنون ٢ : ٢٩٠

(٣) الكتاب ٢ : ٤٠٥ ويقول الاستاذ مارسيه إن ترتيب سيبويه في كتابه لم يأخذه عن الخليل ولم يذكر انه رواه عن الخليل وان ترتيب كتاب العين هو عمل الخليل (٤) طبعة القاهرة ، سنة ١٣٣٢ ص ٩ (٥) فان ابن جني الذي يأخذ على كتاب العين ترتيبه ويقر ترتيب سيبويه لم ينج من مخالفته بتقديم او تأخير كهذا (سر صناعة الاعراب نسخة الظاهرية عام ١٥٠ ، و : ٢١٩)

(٦) النص السابق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بعد أن وضع الخليل ترتيب الحروف على مخارجها بأسلوبه الذي ذكرناه انتقل منه إلى غايته الأصلية من كتابه ألا وهي حصر أبنية اللغة العربية وتمييز المستعمل من المهمل مما يتركب من ضرب الحروف بعضها ببعض[1]، ولنتخيل كيف فعل مستأنسين بنص من مقدمة كتاب العين[2] : عمد إلى حصر أبنية الثنائي أولاً مبتدئاً بالعين يؤلفه مع الحرف الذي يتبعه وهو الحاء قائلاً : ان الحرفين لا يأتلفان فتركيبهما مهمل ؛ وكذلك العين مع الحاء والعين مع الخاء ثم مع الفاء[3]. ثم يأخذ العين مع القاف ، فيستخرج من ذلك (عق ، قع) بتقديم العين تارة وتأخيرها أخرى . ثم يأخذ العين مع الكاف بتقديمها أولاً ثم بتأخيرها ثانياً ، وهكذا حتى ينتهي إلى آخر الحروف ويعود إلى الحرف التالي وهو الحاء فيركبها مع ما يليها ويغفل ما يسبقها لأنه فعل ذلك آنفاً . ويفعل ذلك بكل حرف حتى ينتهي إلى الألف — وهو الحرف الذي يسبق آخر حرف — فيضربه بآخر حرف فقط ضربين ، ومن ثم ينتقل إلى الأبنية الثلاثية فيضرب الحرفين الأولين (ع ، ح) بالحرف الثالث ثم بالرابع والخامس إلى آخر الحروف ، ثم يعمد إلى العين مع الخاء ويضربها بما يلي الخاء وهلمجرا .

ولنفهم طريقه إلى تأليف حرف مع حرفين[4] خذ مثلثاً ، ووقع على كل رأس من رؤوسه حرفاً ، ولنفرض أن الحروف الثلاثة هي : (ض ، ر ، ب) اجمع الحرف الأول مع الثاني مع الثالث تحصل على (ضرب) ، ثم اجمعه مع الثالث والثاني تحصل على (ضبر) ، ثم اجمع الثاني مع الثالث والأول تحصل على (ربض) ، ثم اجمع الثاني مع الأول والثالث تحصل على (رضب) ، ثم خذ الثالث واضربه بالثاني والأول تحصل على (برض) ثم بالأول فالثاني تحصل على (بضر) : فتلك ستة أوجه . ولا شك أن هذه الطريقة

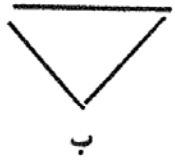

(١) ذكر احمد امين طريقة ذلك في ضحى الاسلام ٣ : ٢٦٨ — ٢٦٩ ولخص تلك الطريقة ابن خلدون في المقدمة في باب اللغة ونقل عنه محمد حسن صديق خان في ابجد العلوم ٦١٤ — ٦١٥

(٢) في التهذيب ص ٤٥ (٣) في التهذيب للازهري ص ٥٠ وما يتبعها

(٤) تجد طريقة الشرح هذه في الجمهرة لابن دريد ٣ : ٥١٢ ونقلها عنه المزهر ١ : ٣٦ اما الحروف التي فرضناها فهي نفسها التي اخذها الخليل مثالا (تهذيب ٤٥)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تقتضي كما في الثنائي ان لا يضرب حرف من الحروف حين الوصول إليه بما يسبقه من الحروف . حتى إذا انتهى من الثلاثي أخذ الرباعي وابتدأ بالحروف الثلاثة الأول ، يضربها بالتتابع مع كل حرف من الحروف التي تليها . ولفهم طريقة تأليف ضروب الحروف الأربعة ارسم مربعاً ، ووقع على كل رأس من رؤوسه حرفاً فإذا كانت الحروف الأربعة (ع ب ق ر) اضرب العين بالأوجه الستة التي تتكون من (ب ق ر) تحصل على عبقر ، عبرق ، عقرب ، عقبر ، عربق ، عرقب ، ثم اضرب الباء بالأوجه الستة التي تتكون من (ع ر ق) تحصل على بعقر ، بعرق ، بقرع ، بقعر ، برعق ، برقع . وافعل كذلك بالقاف ثم بالراء يكون مجموع ما تحصل عليه أربعة وعشرين وجهاً ، أكثرها مهمل . قال الخليل[1] « والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجهاً : وذلك أن حروفها ضربت وهي خمسة احرف في وجوه الرباعي وهي أربعة وعشرون وجهاً » وحصر الخماسي كالثلاثي والرباعي ، الا انه يؤخذ فيه أربعة أحرف تضرب بما يتبعها من حروف العربية .

ع ب
ر ق

ولما انتهى الخليل من هذا الحساب والضرب كتب عنه الليث في أول كتابه : « هذا ما ألفه الخليل بن أحمد من حروف ا ب ت ث التي عليها مدار كلام العرب وألفاظها ، ولا يخرج شيء منها عنه أراد أن يعرف بذلك جميع ما تكلمت به العرب في أشعارها وأمثالها ، ولا يشذ عنه منها شيء[2] » فغاية الكتاب الأولى حصر الأبنية المستعملة والمهملة بطريقة حسابية لا تخطىء كما مر معنا .

ولم يفهم تلك الغاية كثيرون ممن رجعوا إلى كتابه فظنوا انه أراد أن يذكر في كتابه كل الألفاظ التي استعملها العرب لا الأبنية ، فأخذ عليه أحمد البشتي ان كتابه اشتمل على ضعفي كتاب الخليل ، ويهزأ الأزهري فيقول : « ولما قرأت هذا النص من كتاب البشتي استدللت به على عقله وقلة فطنته وضعف فهمه ، واستيقنت أنه لم يفهم من الخليل ما أراده ولم يفطن للذي قصده[3] » واتخذ ابن فارس من معنى ما ذكر الخليل طريقة لنفي الكلام عنه فقال : « فأما الكتاب

(١) في التهذيب ٥٠ (٢) في التهذيب للازهري ص ٢٩ (٣) في المصدر السابق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المنسوب إلى الخليل ومافي خاتمته من قوله : هذا آخر كلام العرب ، فقد كان الخليل أورع وأتقى لله جل ثناؤه من أن يقول ذلك [١] » وإذ قد فهمت ما أراد الخليل فليس ما يمس تقاد وورعه من هذا الكلام . بل إنك تفهم انه يستطيع ان يحسب عدد الأبنية التي أخذ العرب منها ألفاظهم ، وذلك ما فعل بطريقة رياضية لا تخطىء فقد عرف أن للثنائي وجهين ، وللثلاثي ستة أوجه ، وللرباعي أربعة وعشرين وجهاً ، وللخماسي مائة وعشرين وجهاً ؛ وعرف عدد حروف العربية فكان حساب عدد الأبنية التي تخرج من كل منها ممكناً ، وجمع الحاصل أسبال [٢] . وهاك عدد أبنية العرب المستعملة والمهملة بعد الحساب وإسقاط المكرر :

الثنائي	٧٥٦
الثلاثي	١٩٦٥٦
الرباعي	٤٩١٤٠٠
الخماسي	١١٧٩٣٦٠٠
المجموع	١٢٣٠٥٤١٢

ويتفق حسابنا هذا في جميع تفاصيله مع ماذكره حمزة الأصفهاني [٣] عن الخليل ، للهم الا في الثلاثي ، فقد ذكر أن عدد ابنيته (١٩٦٥٠) . ولاشك ان هذا خطأ من الناسخين .

(يتبع) يوسف العش

(١) الصاحبي ١٨ (٢) ورد هذا الحساب والتعداد مروياً عن حمزة الأصفهاني عن الخليل في المزهر ١ : ٣٧ وبغية الوعاة ٢٠٣ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١ وحسب هذا الحساب ابو بكر محمد بن حسن الزبيدي في مختصر كتاب العين فيما نقله عنه المزهر ١ : ٣٧ . وورد الحساب أيضاً في الجمهرة لابن دريد ٣ : ٥١٢ . ونقل ذلك المزهر ١ : ٣٦ — ٣٧ وروى جرجي زيدان ذلك في تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ١٢٦ ولكن هذه الحسابات تختلف الواحدة عن الاخرى اختلافاً بيناً : فإذا ذكر الزبيدي ان مجموع المهمل والمستعمل من الأبنية (٦٦٩٩٤٠٠) (وفي الأصل ٦٦٥٩٤٠٠ وهو غلط إن شئت فسمه مطبعياً) فان حمزة يذكر (١٢٣١٩٤١٢) كما في النسخة المطبوعة من البغية أو (١٢٣٠٥٤٠٦) كما يظهر حاصل جمع التفاصيل وما في المزهر واذا ذكر هذان المؤلفان ان ضروب الثلاثي (١٩٦٥٠) ذكر ابن دريد أن ضروبه ١٥٦٢٠) ولا شك في أن كلا منهم أغفل من الحروف مالم يغفله الآخر ومن المعتل او المكرر ماعده الآخر ، وبذلك ظهر الاختلاف فيما بينهم . ويجدر الاشارة أيضاً إلى ان خطأ الطابعين او النساخ يزيد الاختلاف بينهم إلى هذا الحد .

(٥) في المزهر ١ : ٣٧ وتعداده أقرب المصادر الى الصحة وفي بغية الوعاة ٢٠٣ وكشف الظنون ٢ : ٢٩١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عشائر الشام

- ١ -

من الموضوعات التي أولع بها أدباء العربية قديماً وأطالوا البحث عنها والكتابة وقصر اخلافهم الحاضرون في ذلك موضوع عشائر الأعراب او البدو[1] وإذا كان بعض الفضلاء في العراق وفي مصر وفي جنوبي الشام « فلسطين وشرقي الأردن » ممن سنذكر أسماءهم قاموا اخيراً بقسط محمود من ذلك فإن امثالهم في شمالي الشام لم يحفلوا به حتى الآن .

على حين ان هؤلاء البدو هم امابين ظهرانينا اوعلى مقربة منا ، ولهم فوق صلات الجنس واللغة والدين والتاريخ التي تربطنا وإياهم مكانة في أمورنا الاقتصادية والقومية . فكل سمننا واكثر لحومنا التي نأكلها والأصواف التي ننسجها والمطايا التي نركبها منهم . وقسم كبير من سكان الحواضر عندنا كدمشق وحمص وحماة وحلب ودير الزور يعتمد في تجارته ومرتزقه من الماشية ومنتوجها على شركائه وعشرائه من هؤلاء البدو .

وقد كتب لي ان اتجول في املاك دولة الشام ، وهي على سيف البادية وجل فلاحيها وكل الضاربين في براريها من البدو ، وان اغشى منازل هؤلاء فانظر واسأل وادون واقارن ذلك بما اجده في الكتب العربية والافرنجية الباحثة عنهم حتى اجتمع لي طائفة من اخبارهم . على انني اعترف بقلة مانهلت من هذا البحر ومادونت لصعوبة الاتصال بالبدو وعسرة استقراء الحقائق منهم مما يتيسر لرواد الافرنج ومستشرقيهم ولاسيما لعمال دوائر الانتداب منهم اكثر منا . لأجل هذا فقد قصرت هذه العجالة على ذكر مقدمات وجيزة عن تقسيم عشائر البدو في عهدنا الى طبقات وعن تاريخهم القديم والحديث ثم وصفت البادية

(١) الأعراب بالفتح اهل البادية من العرب والواحد أعرابي بالفتح ايضاً وهو الذي يكون صاحب نجعة وارتياد للكلأ ، وقيل من نزل البادية وجاور البادين وضمن بظاعنهم فهم اعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء (عن المصباح المنير للمقري الفيومي) ، وقد اصطلح الشاميون على تسمية الاعرابي بالبدوي وعلى تسمية الريفي بالفلاح ويجمعونه على فلاحين وفلالبح كما يجمعون العربي على عربان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وخصائصها ، ثم انتقلت الى البحث الأصلي وهو : تعداد العشائر وتعريف منابتهم ومنازلهم وفرقهم ومبلغهم من العدد والقوة ، وتركت البحث عن عاداتهم وتقاليدهم واخبارهم الماضية والحاضرة الى فرصة اخرى .

ما أُلف عن البدو

من الباحثين عن أنساب البدو واحوالهم بين أدباء العرب القدماء وجدت ابن عبد ربه الاندلسي المتوفى في سنة ٣٢٨ في كتابه العقد الفريد ، وابي الفرج الاصفهاني المتوفى في سنة ٣٥٦ في كتابه الأغاني ، وابي عبيد البكري المتوفى في سنة ٤٨٧ في مقدمة كتابه معجم ما استعجم ، وابن خلدون المتوفى في سنة ٨٠٨ في الجلد السادس من تاريخه الكبير المسمى العبر ، والقلقشندي المتوفى في سنة ٨٢١ في الجلد الرابع من صبح الأعشى ، في كتابه الثاني المسمى نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب المطبوع في بغداد وفي كتابه الثالث المسمى قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية يبحث في قبائل مصر في زمنه . وقيل ان في احد الأجزاء التي لم تطبع بعد من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري المتوفى في سنة ٧٤٨ ذكراً لمنازل العرب كما كانت في مصر على عهده ، وقيل ايضاً ان لابن حزم الظاهري المتوفى في سنة ٤٥٦ كتاباً اسمه « جمهرة النسب في معرفة قبائل العرب » وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية ولم يتسن لي بعد الاطلاع على المخطوطات المذكورة ، وإن كانت تشمل العصور والأماكن البعيدة عن موضوعي وبحثي .

ومن الباحثين المتأخرين ابو الفوز السويدي البغدادي في رسالته « سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب » المطبوعة على الحجر في الهند سنة ١٢٩٦ لكن ابحاثها قديمة ومقتبسة عن نهاية الأرب للقلقشندي وترتيبها غير موفق بالغرض ، والسيد شكري الالوسي في كتابه « بلوغ الأرب في احوال العرب » المطبوع في بغداد سنة ١٣١٤ في ثلاث مجلدات خصها بشرح اخبار عرب الجاهلية وعاداتهم وآدابهم مما هو بعيد عن مطلوبنا واحسن الكتب العربية الحديثة كتاب « خمسة اعوام في شرقي الاردن » المطبوع في حريصا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(لبنان) سنة ١٣٤٥ للارشمندريت بولس سليمان بسط فيه آداب بدو شرقي الاردن في عيدنا وقضائهم وديانتهم وعشائرهم ، وكتاب « القضاء بين البدو » المطبوع في القدس سنة ١٣٥٢ للسيد عارف العارف قائم مقام بئر السبع بسط فيه اخبار بدو بئر السبع في عهدنا ايضاً وطبائعهم وعاداتهم في القضاء والقتل والسرقة والمرأة والحيوان والرحيل والتجارة والطب والعقيدة ، وكتاب « تاريخ شرقي الأردن وقبائلها » للفنتنت كولونل ج . بيك الانكليزي وقد عربه السيد بهاء الدين طوقان وطبعه في القدس سنة ١٣٥٤ ، وكتاب « قلب جزيرة العرب » لفؤاد حمزة طبع في مصر سنة ١٣٥٢ ، وكتاب « قبائل العرب في مصر » لأحمد لطفي السيد طبع في مصر سنة ١٣٥٤ ، وكتاب « عشائر العراق » للسيد عباس العزاوي المطبوع في بغداد سنة ١٣٥٦

ووجدت من الافرنج الباحثين عن البدو الرحالة بركهارت السويسري[1] صاحب كتاب « رحلة في بلاد العرب » وقد وافى هذه البلاد في سنة ١٢٢٤ هـ وعد في كتابه ما صادفه في تلك الحقبة من عشائر البدو في الشام والحجاز وأحصى نفوسها وذكر أطوارها وأساليب معيشتها ومناطق رعيها وكل ما يتعلق بها بتدقيق واف . والمستشرق موزيل التشيكوسلوفاكي[2] كتب بالألمانية عن بادية العرب بحث فيها عن عشائر عنزة ولاسيما عن الرولة وتقاليدهم ، وكان أقام بينهم سنيناً عديدة وكانوا يدعونه الشيخ موسى الرويلي وللسائحة الانكليزية اللادي آن . بلونت[3] كتاب في مجلدين عن « عشائر البادية الفراتية » طبع في لندن سنة ١٨٧٩ كما أن لها كتاباً آخر اسمه « رحلة إلى نجد » ترجم الى الافرنسية ، وللكابتين رينو[4] الافرنسي رسالة صغيرة عن « بدو البلاد التابعة حكومة دمشق » طبعت في سنة ١٩٢١ ولكومندان موللر[5] كتاب اسمه « في بلاد الشام مع البدو » طبع في سنة ١٩٣١ ، وهذان الضابطان كانا من مدراء الإدارة الافرنسية الخاصة

(1) Jean - Louis Burkhardt. Voyages en Arabie. (2) Aloes Musil, Arabia deserta, 1927. (3) Lady Anne Blunt, Bédouin tribes of the Euphrates, Murray, 1879. (4) Capitain Renaud, Les Bédouins de mouvence du gouvernement de Damas, 1921 (5) Victor Muller, En Syrie avec les Bédouins, 1931

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بمراقبة العشائر . وثمة كتابان افرنسيان للأب جوسن الدومينيكي[1] احدهما عن عادات البدو في بلاد موآب وثانيهما عن عشيرة الفقرا احدى العشائر الكبيرة في تلك الأنحاء ، وللسيو آلبر بوشمان[2] كتاب اسمه « منعة المعيشة البدوية » فيه وصف ألبسة البدو وفرشهم وأوانيهم ومضاربهم . واحدث الكتب الاوربية وأكملها عن عشائر الشام هو ما نشره أخيراً المستشرق البارون فون اوبنهايم[3] المطبوع في ليبزيغ سنة ١٩٣٩ ، ولعل هنالك كتباً أخرى لم أطلع عليها فاكتفيت بذكر ماعلمت .

طبقات البدو

لنا أن نقسم بدو زماننا في شمالي الشام حسب عراقتهم بالبداوة واطوارها وبعدهم عن عن الحضارة ومنازلها الى ثلاث طبقات :

الطبقة الاولى : أعراب البادية او البدو الأقحاح ويوصفون في اصطلاح الافرنج بالبدو الاصليين او بالبدو الرحل ، وهم اهل الوبر ، أصحاب المضارب او الخيام او بيوت الشعر لسكناهم والخيل لركوبهم والإبل لمعاشهم . فالإبل مراكبهم التي يحملون عليها احمالهم وينقلون اثقالهم ويأكلون لحومها ويقتاتون بألبانها ويكتسون وينسجون بيوتهم من أوبارها ويقايضون عليها في المبايعات ويعطون منها في سائر الغرامات والديات والمراضات ومهر الزوجات ، فهي في الجملة مصدر غناءهم ومبعث هناءهم ، كما انهم سبب معاشها ووجودها ، لا يدرون أهي خلقت لهم وقبلهم ام هم خلقوا لها وقبلها ، ولا يدفعون للدولة عنها سوى ضريبة تدعى « الودي » ، دأبهم الظعن بين قفار البادية وارياف الحاضرة فراراً من حمارة القيظ تارة وصبارة البرد اخرى وارتياداً لمواقع القطر وانتجاعاً لمنابت الكلأ والمراعي الصالحة للابل فيخيمون هنالك ما ساعدهم الخصب وامكنهم الرعي ثم يتوجهون لطلب الكلأ وابتغاء المياه والدفء في اماكن اخرى فلا يزالون في حل وترحال يقطعون

(1) P. Jaussen, Coutumes des Arabes en pays de Moab. Coutumes des Fuquaras, 1920. (2) Alber Bouchman, Les meubles de la vie Bédouine. (3) Die Beduinen, Max Vonoppenheim . Leipzig. 1930

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٥٠٠ و ٦٠٠ واحياناً ٧٠٠ — ٨٠٠ كيلو متر فيصلون في الشرق الى بوادي العراق او في الجنوب الى فيافي نجد ثم يعودون الى مشارف الشام او الى ما يقاربها .

وهواهم في البادية وفيافيها الشاسعة وآفاقها الواسعة وحريتها المطلقة ووحشتها الرهيبة ونباتاتها وحيواناتها الغريبة ولا يزالون يمدحون البوادي وشظف عيشها في منظوم كلامهم ومنثوره . وهم يحتقرون اهل الطبقة الثانية ويدعونهم « رعية » و « شاوية » او « شوايا » لاقتنائهم — الشياه والمعز ، يعدّون ذلك من اكبر العار اذ تمنعهم عن الاجفال في البيداء ومدافعة الاعداء — ويتهنون اهل الحضر والقرى ويدعونهم « الفلاليح » لانهم ساكنون بيوت الحجر وممتادون على الرفه وحماية الدولة ، ومتكلون على الحرث والكرث وهم دائماً يحملون السلاح ويتلفتون في الطرق ويتجافون عن الهجوع الا غراراً في المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب ، ويتفردون في الصحراء وثقتهم بأنفسهم كثيرة حتى صار البأس لهم خلقاً . ولذلك كان أكثر البدو توغلاً في القفر اشدهم بأساً واجرأهم على تحمل المشاق . وهؤلاء البدو الشعث الغبر الجفاة لا يغشون القرى والمدن الا للضرورة في سني المحل والظمأ او لابتياع حاجاتهم وبيع الذكور من إبلهم ، وبيع اصوافهم ، وهم لجفوتهم وقسوتهم وجهلهم حق الغير في تعبه ونشبه كثيراً ما يلحق اهل الضياع والمزارع حين مرورهم بها مضرات من افسادهم السابلة ورعيهم الزرع مخضراً او انتهابه قائماً وحصيداً ، ويتفاقم ضررهم حينما يرون من فوضى الأحكام ومسامحة ذوي السلطان فرصة . وهؤلاء في بلادنا عشائر شمر في بوادي الجزيرة الفراتية ، وعشائر عنزة في بوادي الشامية . وسيأتي ذكر فروع كل منها .

الطبقة الثانية : اعراب الحاضرة الذين يسكنون في انحاء حلب وحماة وحمص ودمشق « عربان الديرة » او « الرعية » وفي انحاء دير الزور والجزيرة « شوايا » . وهؤلاء ايضاً اهل وبر وخيل ، لكنهم قسمان : قسم لا يرتزق الا بالضرع اي بارعاء الماشية من الغنم والمعز فقط . وهذه الماشية اما ان تكون لهم وحدهم ، واما ان تكون لأهل مدن حلب وحماة وحمص ودمشق ودير الزور وغيرها يشاركونهم في تربيتها والمتاجرة بصوفها وسمنها التي تدر عليهم وعلى شركائهم في سني الخصب ثروةً غير يسيرة . ويسمي الافرنج

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا القسم من الأعراب بالغنامة او النصف رحل او النصف حضر . وهؤلاء يقطنون بيوت الشعر دون غيرها ليتمكنوا من الظعن وراء الماشية . والقسم الثاني يضم الى الضرع امتلاك الضياع والاراضين واستثمارها بالحرث والزرع ، فهم يقبلون من جهة على الزرع خوفاً من ان تقضي أعوام الصقيع على الماشية او ينقض عليها غزو ينهبها او مرض يهلكها ، ويظلون متعلقين بأهداب الضرع اما لصغر مساحة الأرض التي يملكونها او لكثرة ما ينتاب الزروع من الآفات كالجراد والمحل وعيث البادية وغير ذلك ، ولأنهم لم يتجردوا بعد عن أطوار البداوة وهوى الحل والترحال . وهم بعد ان ينتهوا من بذر الزروع الشتوية يرحلون في أواخر الخريف الى البادية انتجاعاً لمرعى غنمهم ودفئهم ويعودون في أواخر الربيع الى منازلهم وضياعهم ليلحقوا اعمال الحصاد والرجاد والدراس للزروع الشتوية والبذر والري والتعهد للزروع الصيفية . وهؤلاء يقطنون بيوت الشعر او قباب اللبن في أنحاء حلب او السبابيط المبنية من أعواد الطرفاء وأغصان عرق السوس في أنحاء سقي الفرات والخابور وغيرهما من انهار الجزيرة . وليس للتقسيم المذكور حد محدود ، فالعشيرة الواحدة قد تكون من القسم الاول او الثاني وحدهما او من القسمين كليهما .

وسبب تسمية اهل هذه الطبقة بعربان الديرة لأنهم مرتبطون بديار خاصة في أطراف الحاضرة ومستقرون ولاسيما اهل القسم الثاني فيها ، ولأنهم حينما يظعنون في الشتاء لا يوغلون في البادية أكثر من ٣٠٠ — ٤٠٠ كيلومتر مراعاةً لمقدرة الغنم ولقرب المناهل والآبار الصالحة لورودها . فأعراب حمص وحماة مثلاً لا يتعدون الخبرات والقعرة « شرقي تدمر » وكثيراً ما يشتون حول جبل البلعاس وجبل العمور ، كما ان أعراب سقي الفرات يشتون حول جبل البشري ، واعراب أنحاء دمشق يشتون في ديرة التلول وحول جبل التنف ، واعراب الجزيرة الفراتية حول جبل عبد العزيز .

واهل هذه الطبقة يشبهون في الجملة الطبقة الاولى في طباع البداوة والجلفة والشعوثة وانتهاك حمى الطبقة الثالثة وفلاحي الحاضرة عند سنوح الغفلة وضعف الدولة . ويختلفون بأنهم لا يعاملون في عرف البادية معاملة اهل الطبقة الاولى فلا يشهر عليهم الحرب ولا يحفظ لهم صحب اي لا يجار الملتجىء اليهم ، بل لما كانوا « رعية » و « شوايا » يؤكلون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا يأكلون . فكأن الطبقة الاولى كالدول المستقلة تمام الاستقلال من الاوربيين تعامل بجميع قواعد حقوق الدول ، والطبقة الثانية كالدول المستقلة من الشرقيين يحافظ على عهودها وتحترم ذمتها بحسب قوتها ومنعتها ، والطبقة الثالثة كالدول التي لم يصادق على استقلالها او كالامارات المحمية . ويختلفون ايضاً بان لهم استعداداً بارزاً للتحضر فقد صار بعضهم اهل مدر اي اصحاب قرى وضياع يقطنون فيها ويستثمرون أرضها ، ولآخرين منهم علائق جمة مع تجار الماشية او التجار السوقة في المدن والحواضر يشاركونهم في تربية الغنم او زراعة الحبوب ، وهم يؤدون للدولة عدا ضريبة الأغنام العشر عن الزروع والخراج عن الأرضين .

والطبقة الثالثة أيضاً قسمان ؛ قسم يشبه أهل القسم الاول الذي ذكرناه في بحث الطبقة الثانية بأن فيه أهل ضرع ووبر يربون الماشية ويقطنون بيوت الشعر ويرتزقون من مشاركة صغار السوقة في المدن او الزراع في القرى ومراكز الاقضية ويدعون « شكارة » بتشديد الكاف على أنهم يختلفون عن أولئك بأنهم لا يؤلفون عشائر ذات شأن بل أحياء صغيرة منفردة ضعيفة الحول والطول ، قليلة العدد والقوة ، وضيعة الارومة والمكانة ، وبأنهم لا يظعنون الى البادية بل يتنقلون حسب الفصول ووجود المرعى في الهضاب والاودية الخالية والبراري والحقول البائرة الممتدة قرب منازلهم او ضمن حدودها او حدود مواطن شركائهم . ولا يخلو قضاء من أقضية بلاد الشام في ساحلها وداخلها من هؤلاء الاعراب الرعاة . وقسم فيه الاعراب الفلاحون « الفلاليح » الذين تركوا الحل والترحال وشن الغارات وايقنوا ان العيش الثابت خير من المتنقل ، وأن من يلجأ لحمى الدولة أهنأ بالاً ممن يتكل في حمايته على نفسه وعصبيته فعمروا الخرب الداثرة ، وهجروا بيوت الشعر الا قليلا وصاروا أهل مدر اي انهم قطنوا بيوت الحجر او القباب وتوفروا على الحرث والزرع أكثر من تربية الماشية .

من هؤلاء في شمالي الشام القاطنون في قرى « املاك الدولة » في أقضية منبج والباب وجبل الاحص ومطخ قنسرين وسهل العمق وسهل الروج وسهل الغاب وفي أنحاء ادلب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومرمين و كورة العلا وفى أقضية حماه وسلمية وحمص والنبك والقنيطرة والزوية وحوران وجبل الدروز وغوطة دمشق ومرجها ... ممن تعددت اسماؤهم واتضعت أنسابهم وأحسابهم. وأهل هذه الطبقة أيضاً وان كانوا يغشون دائماً المدن والقرى ويشاركون أهلها ويعاشرونهم ويتصلون بمرافقها ومراتعها لكنهم مابرحوا محتفظين بقسم غير يسير من خصال البادية كالخشونة والرعونة فهم يتمسكون بالقشافة المدقعة والجهالة المطبقة ويتوانون عن العمل الصالح في الزرع والحرث ولاسيما في الغرس .

(يتبع) وصفى زكريا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مخطوطات ومطبوعات

الامير جمال الدين عبد الله التنوخي

تأليف تلميذه الشيخ ابي علي مرعي البستاني وآداب الشيخ الفاضل الشيخ محمد ابي هلال

تأليف الشيخ ابي علي عبد الملك بن الحاج يوسف الحلبي الشافعي

أجاد ناشر هذه الرسالة الاستاذ عجاج نهويض مترجم «حاضر العالم الاسلامي» وغيره من الكتب النافعة بنشرها على طريقة عصرية مقبولة وبإتباعه لها بلمحة تاريخية مطولة تشتمل على ترجمة «للأمير سعيد» و «الشيخ الفاضل» وصفوة تاريخ الأمراء آل تنوخ في لبنان من اولهم الى انقطاع سلالتهم قبل منتصف القرن الحادي عشر ووصف امارتهم وامارة آل معن حتى نهاية الامير فخر الدين المعني الثاني الكبير .

وفي الحق ! أن الشخصيتين اللتين يدور عليهما الكتاب وهما : الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي دفين قرية عبيه ، والأمير فخر الدين المعني الثاني الكبير دفين الآستانة من أهم الشخصيات التي يفاخر بها العرب والمسلمون في الدين والسياسة . فالامير السيد كله خير وتقوى كان لأمته خير مثال يقتدي به المقتدون والامير فخر الدين كان نابغة العرب في العصور الأخيرة بما رزقه من طبع سياسي واداري براق .

وقد أعجبني رأي الاستاذ نويهض في تعليل اخفاق الامير فخر الدين اذ قال : (ص ه ٦١) : «ولو قُيض لحكم اقطاعي ، مهما كان ضخماً مترامي الأطراف ، ان يعيش ويبقى في العصور الأخيرة ، في وجه نظام الدولة الحديث ، في الشرق أو في الغرب ، لكان حكم فخر الدين الثاني أولى الأحكام الاقطاعية بأن يعيش ، ولو كان مقدوراً للبناء المشمخر الذي رفعه سليل ربيعة بين الكرمل وانطاكية بدهائه وقوة يمينه ، ان تتلاقى حنايا قناطره فتتماسك جوانبه ويشد بعضه بعضاً فيقوى على الأعاصير وترتد عنه الصدمات خاسرة ، ويرقى به صاحبه من دور الاقطاع الكبير الى الملكية الثابتة القرار ، مع تكثيف الجيش وتقوية آلات الحرب وتنمية موارد الثروة العامة ، ونشر العلم الذي كان ينتقل وتتشذ من أوضاعه القديمة إلى أوضاعه الجديدة ، لأمكن فخر الدين ان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يشيد للعرب في سورية الغربية ملكاً عربياً متين الجوانب وفيه اليوم ملايين من السكان. ولكن اذا كان بنو ربيعة الاولون في الجزيرة لم يطيقوا ايوباً جد المعنيين وهو واحد منهم، لبأسه وكثرة غارته وإيقاعه، وما زالوا به حتى أكرهوه على الرحيل فرحل، اتطيق الدولة التركية العثمانية حفيد معن وهو يؤسس امارة قد تفضي الى ملك في بلاد سورية، فيقطع من سلطنتهم ويهدم منها ليبني له مملكة ؟ »

وقال المؤلف في تأثير الشعر في العرب وتغاليهم في روايته : « الشعر عنصر من عناصر الغذاء في حياة الامارات الاقطاعية عند كل الامم المنحضرة، يماشي الفروسية، وتنعكس عليه ابهتها، ويكون وشياً لطرازها، وشدو غنائها، هذا على الجملة، وأما كون نزعة الشعر في الاصل جزءاً من طبيعة العربي على الخصوص، وهي من غرائزه النامية، جاهلية واسلاماً، بادية وحاضرة، فلا يحتاج الى دليل. قل — اذا كانت الفروسية عند العرب، وهي عندهم على غير انقطاع، كان الشعر، وكان منشده وسامعه وراويه، وهذا في كل الاقاليم التي سكنها العرب قديماً وحديثاً، وكما كنا ولا نبرح نطرب لذكر المنحني والعقيق واللوي والرياض التي قال ياقوت انه كان في الجزيرة لااقل من مئة وستة وثلاثين موضعاً يسمى بالروضة او الروضتين، فكذلك نطرب لترنم الشعراء بذكر المستجد من الاسماء للاماكن التي نزلها العرب بعد الفتوح في سواحل الشام وثغور البحر الابيض وجبال بيروت ومقاطعات الغرب وجبل بني معن، وكما يشتاقك وصف مراتع الظباء في نجد والحجاز وأوديتهما المختلفة، فكذلك يجتذبك ذكر صنين وجبل الشيخ، ووصف تساقط الثلوج عليهما، وكما كان الشعراء يفدون على الملوك والامراء في الجزيرة والحيرة وديار غسان قبل الإسلام فكذلك نراهم عند التنوخيين اللخميين في لبنان. وسنظل نقرأ الشعر العربي اينما كان العرب ونزلوا، وفي اي جبل او سهل حلوا. »

وفي بعض هذه الرسائل القديمة كتبت الصاد بالسين على عادة القوم في كتبهم الروحية فرد عليها المؤلف رداً لطيفاً بقوله : « وردت كلمة « الصادق » و « التصديق » في سيرة الامير السيد بالسين بدل الصاد احياناً. وصوابها بالصاد، ولم يرد في العربية فعل (صدق) بالسين. » والمأمول مع الزمن ان تزول السين من هذا الرسم وتبقى الصاد ليتوحد الاملاء كما تتوحد الآراء.

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تذكرة الشعراء

او

شعراء بغداد وكتابها في أيام داود باشا والي بغداد

لعبد القادر الخطيبي الشهراباني

في هذا الكتاب تراجم مختصرة لثلاثة وخمسين رجلاً (ليس فيهم شاعر يذكر) من أهل النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة في بغداد . عني بنشره ووضع فهارسه العلامة اللغوي الاب انستاس ماري الكرملي . والكتاب = على مافيه من لغة رديئة وأسلوب عامي وخطة مضطربة = يصور لنا نموذجاً من ثقافة ذلك العصر . ولذلك تولى الاستاذ الكرملي نشره كما هو وأضاف اليه فهارس ومعجما للألفاظ العامية والأعجمية مع خاتمة دلّ بها على فائدة الكتاب .

مراثي مسعود

هي مجموعة الكلمات والقصائد التي أُلقيت في حفلة تأبين محمد مسعود بك احد أعلام النهضة الأدبية في مصر . كان عالماً مدققاً واديباً كبيراً وصحافياً مفنناً ومؤلفاً موفقاً معروفاً بحسن الخلق والاستقامة . وقد تولى الذين ابنوه شرح هذه النواحي ونوهوا بمكارم اخلاقه وعظيم مآثره رحمه الله واحسن عزاء الامة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آراء وأنباء

استدراك

أشير هنا — مستدركاً سهواً في ص ٣٧٥ سطر ٧ من المجلد السادس عشر لهذه المجلة — الى ان كلمة (شعوذة) صحيحة فصيحة مثل (شعبذة) . وأن سنة ٢٤٣ (ص ٣٣٥ سطر ١٧) صوابها : ٢٩٢

الأفغاني

وفاة علماء عاملين

فقدت الامة ثلاثة من أعلام العلماء العاملين : الشيخ محمد الحسيني صاحب التفسير والشيخ اسماعيل الحافظ مصحح الجامع الصحيح لمسلم ، وهما من علماء طرابلس الشام . اما الثالث فالشيخ عبد الوهاب النجار من علماء مصر وصاحب كتاب قصص الانبياء وغيره . رحمهم الله رحمة واسعة وعزى الفضائل والعلوم فيهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net